

الأنثربولوجيا الثقافية

(علم الإنسان الثقافي)

⦿ مدخل إلى الأنثربولوجيا:

سنتكلم عن الانثربولوجيا بشكل عام .

⦿ مفاتيح المحاضرات :

1. تعريف الانثربولوجيا

2. نشأة الانثربولوجيا

3. أقسامها (فروعها)

4. علاقتها مع العلوم الأخرى

5. نماذج عن علماء الانثربولوجيا العرب

6. الانثربولوجيا والاسطورة

☆ سنبدأ بتعريف الانثربولوجيا؟ ما أصل كلمة الانثربولوجيا؟

هذه الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين الكلمة الأولى anthropos وتعني الإنسان، والكلمة الثانية loges تعني علم أو دراسة.

✓ لدينا عدة تعريفات الأنثربولوجيا منها:

- علم الإنسان وأعماله وسلوكه / أو علم دراسة الانسان.
- علم الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها
- تدرس علم الانسان من حيث أنه كائن طبيعي واجتماعي وحضاري
- علم الحضارات والمجتمعات البشرية

☆ سنحاول تلخيص تعريف شامل للأنثربولوجيا وهو أنه:

علم يدرس سلوك الإنسان و الأعمال وإنتاجها من حيث أنه كائن طبيعي اجتماعي حضاري ويهتم بمعرفة الإنسان معرفة كلية ومعرفة شمولية (من خلال تفاعله مع ابناء جنسه)

📖 لدينا عدة أسئلة:

س1 هل تدرس الانثربولوجيا الإنسان ككائن منعزل عن المجتمع؟

✓ الجواب : لا . تدرس الإنسان بصورة كلية وشمولية من حيث هو كائن اجتماعي طبيعي وحضاري

س2 هل الانثربولوجيا تقتصر على دراسة المجتمعات البدائية فقط؟

✓ الجواب : لا . تقتصر على دراسة المجتمعات البدائية فحسب

أما سابقا كانت تقتصر على دراسة المجتمعات البدائية فحسب

أما بعد ذلك اتسعت مجالاتها وأصبحت تدرس المجتمعات غير البدائية

س3 لماذا بقي العلماء العرب على المصطلح اليوناني ولم يتم ترجمته إلى اللغة العربية؟

✓ الجواب : لأنهم وجدوا أن الترجمة لن تقدم شيئ مهم أو أي
أي نتيجة علمية

س4 لدينا علوم عديدة تدرس الانثربولوجيا ، ألا يوجد ما يميز هذا العلم من العلوم الأخرى

✓ الجواب : (1) يدرس الانسان بصورة جمولية.

يركز على المجتمعات البدائية

ما يميز المنهجية في الدراسة تختلف
وتطور واتسع ليشمل دراسة المجتمعات في كل جوانبها.

ثانياً: نشأة الانثروبولوجيا:

سؤال: هل الانثروبولوجيا هي علم قديم أم علم حديث؟

هي علم قديم وحديث في آن واحد.

علم قديم: لأن الاهتمام في الانسان في المجتمعات الانسانية
والبشرية موجودة قديماً منذ وجود الانسان ذاته.

أما هي علم حديث: لأنه لم تظهر الانثروبولوجيا كعلم له منهجية
وأساسه الا في القرن الثامن عشر.

يعد القرن الثامن عشر هو نقطة بداية للانثروبولوجيا
بعد ذلك وُجدت آراء وتأملات لمجموعة من العلماء وتضمن البنود أو
المكونات الأساسية للانثروبولوجيا: وجدت في:

● آراء مونتسكيو : كتابه الشهير روح القوانين عن المجتمع وأساسه
وطبيعته

● كتابات سان سيمون ● آراء ديفيد هيوم ● آدم سميث

بدايتها كانت في القرن الثامن عشر ، نمت في القرن التاسع عشر

👉 **فكّوت المدارس الانثروبولوجية الكبيرة منها:**

وبعد منتصف القرن التاسع عشر بدأت الكتب الانثروبولوجية القديمة
بالظهور كانت أبرزها كتاب القانون القديم عام 1861م وكانت في
أمريكا وأوروبا وكتاب السر هنري مين.

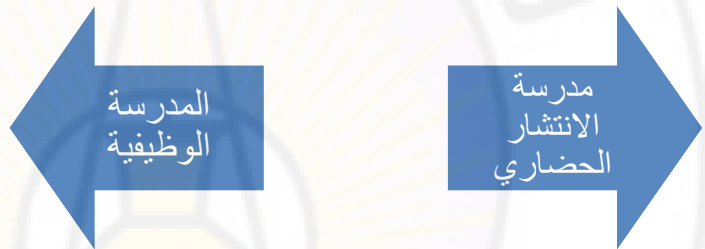
👉 أيضا ظهرت مدرستان كبيرتان من مدارس هذا العلم :



👉 وفي مطلع القرن العشرين برزت أسماء مهمة وضخمة في علم الانثربولوجيا منهم:

✓ أميل دوركهايم ✓ راد كليف براون ✓ مالمينو فسيكي

أيضا: ظهرت مدارس انثربولوجية هامة مثل:



ولم تبدأ الجامعات بتدريس الانثربولوجيا إلا حديثاً فقد عُنِّ

أول أستاذ (تايلور) عام 1884م بجامعة أكسفورد

وأول أستاذ بجامعة لندن عام 1908م

وفي الجامعات الأميركية بدأ بتدريس الانثربولوجيا في عام 1886م

ملاحظة: (هامين جداً)

👉 التواريخ. 👉 أسماء المدارس. 👉 أسماء العلماء.

أقسام الأنثربولوجيا (فروعها)

الفروع والأقسام التي سنتحدث عنها في هذه المحاضرة هي:

- الأنثربولوجيا الطبيعية.
- الأنثربولوجيا الاجتماعية.
- الأنثربولوجيا الثقافية.
- الأنثربولوجيا التطبيقية.
- الأنثربولوجيا الاقتصادية.
- الأنثربولوجيا السياسية.
- الأنثربولوجيا النفسية.

1. الأنثربولوجيا الطبيعية:

يرتبط هذا القسم بالعلوم الطبيعية وخاصة

① علم التشريح- ② علم الحياة- ③ علم وظائف الأعضاء)

وأهم تخصصاته

① علم العظام- ② علم البناء الإنساني- ③ مقاييس جسم

الإنسان- ④ علم جراحة الإنسان)

أولاً: اين يدرس هذا القسم:

ويدرّس هذا القسم في كليات الطب والعلوم ومعظم المتخصصين فيهم أطباء وعلماء.

ثانياً: ماذا يدرس هذا القسم:

ويدرس أيضا هذا القسم ظهور الإنسان على الأرض كسلالة متميزة واكتسابه صفات خاصة كالسير منتصباً ويدرس ضمنه الوراثة وانتقال ميزات الجنس البشري من جيل إلى آخر.

2. الأنثربولوجيا الاجتماعية:

ماذا تدرس الأنثربولوجيا الاجتماعية؟

تهتم بدراسة البناء الاجتماعي لأي جماعة ودراسة المجتمع البدائي ووحدة بنائه وماهي العوامل البيئية المختلفة التي تؤثر فيه.

3. الأنثربولوجيا الثقافية:

تدرس الثقافة من جميع أنواعها بشكل متكامل وتوجه أبحاثها في جوانب حياته المختلفة العادات (التقاليد) وبالمقابل الأفراد يهدفون في تطويرها وإغنائها من خلال أبداعهم.

4. الأنثربولوجيا الاقتصادية:

بدأت في القرن التاسع عشر تهتم بدراسة السلوك الاقتصادي البشري للإنسان البدائي. (هام)

5. الأنثربولوجيا السياسية:

تهتم بوصف وتحليل الأنظمة السياسية وتركز بالأكثر على المجتمعات التقليدية وتبلورت في القرن التاسع عشر.

6. الأنثربولوجيا النفسية:

تركز على العلاقة ما بين الثقافة والشخصية تعني وأن شخصية الإنسان كل منها يؤثر بالآخر.

كيف تؤثر الثقافة في شخصية الإنسان؟
من خلال تحكمها في سلوكياته واتجاهاته.

كيف تؤثر شخصية الانسان في الثقافة؟
من خلال مساهمته في تطوير الثقافة.

الأنثربولوجيا الطبية: تدرس صحّة الإنسان وتهتم بسبيل الرعاية الصحيّة وتعدّ أحد الميادين المتطورة في الأنثربولوجيا وظهرت في بداية القرن العشرين.

احدث فروع الأنثربولوجيا

الأنثربولوجيا التطبيقية: ظهرت عند اتصال الأوربيين في العرب أو الشعوب البدائية من خلال الاستعمار والتجارة ونشأت الحاجة لديهم لفهم هذه الشعوب؛ من أجل السيطرة والاستعمار والتجارة والاستقلال.

يهدرس هذا الفرع:

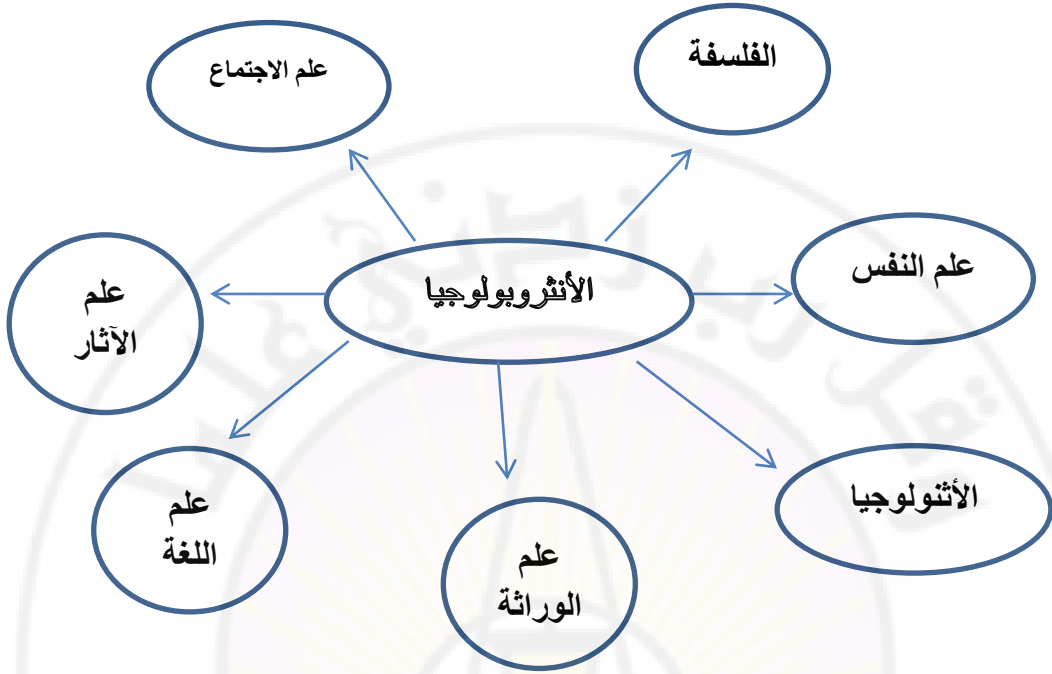
مشكلات الاتصال في الشعوب البدائية: (معضلات ادارتها – تحسين شؤونها – إيجاد التحسينات لتطويرها).

يهتطور هذا الفرع بعد الحرب العالمية الثانية:

((وأصبحت تمثل الجانب التطبيقي لجميع أقسام الأنثربولوجيا))

(هام)

٣٥ الأثربولوجيا وعلاقتها بالعلوم الأخرى :



٣٦ العلاقة ما بين الأثربولوجيا وعلم الاجتماع :

أولاً: كلاهما يدرس الانسان وثقافته وتفاعلاته مع ابناء جنسه وسلوكه.

هل كلاهما يعتمد المنهجية ذاتها في دراسة الانسان؟

لا لكل منهما منهجيته الخاصة.

ثانياً - الأثربولوجيا والأثنولوجيا:

س1: ما هي الأثنولوجيا؟

الأثنولوجيا: هي العلم الذي يدرس الأجناس والسلالات البشرية (وهي مجموعة من البشر متشابهون في خصائص معينة (لون البشرة والشعر والعيون)) في نشأتها وخصائصها المميزة، وكذلك في نموها

وتطورها والعوامل التي خضعت لها في هذا التمايز، كما تهتم بدراسة الفروض والنظريات التي وضعت لتصنيف الشعوب على أساس الخصائص والمميزات السلافية والثقافية، وبيان مدى رد الإنسانية إلى جنس واحد أو أكثر، وما يثار من جدل حول الجنس الأمثل والفروق العنصرية وأثرها في التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وقد يقتصر هذا العلم على دراسة الشعوب والثقافات وتاريخ حياة الجماعات دون النظر إلى مدى تطورهما وتقديمها. وقد عرف (برتشارد) الأثنولوجيا: بأنها علم تصنيف الشعوب على أساس خصائصها ومميزاتها السلافية والثقافية، وتفسير توزيعها في الماضي والحاضر نتيجة لتحركها واختلاطها وانتشار الثقافات. ويدخل ضمن الأثنولوجيا عدد كبير من التخصصات: كدراسة الأساطير والآداب الشعبية والموسيقا واللغات والرقص ونظم القرابة والأسرة في المجتمعات البدائية، بالإضافة إلى البحث في أنشطة تلك المجتمعات الاقتصادية وأنظمتها الحكومية والقانونية والدينية...الخ من التخصصات.

س2: ما هي العلاقة بين الأثنولوجيا والأثنوغرافيا؟

بداية لابد من توضيح ما المقصود بالأثنوغرافيا: اثنو (جنس) (غرافيا الكتابة) تعني وصف الشعوب، فهي الدراسة الوصفية للمجتمعات الإنسانية، وخصوصاً المجتمعات البدائية. وكذلك تهتم الأثنوغرافيا بجمع المعلومات وشرحها بطريقة وصفية أكثر مما تعني بتحليلها واستخلاص بعض الفروض والنظريات منها.

ويتضح الارتباط الوثيق بين الأثنولوجيا والأثنوغرافيا من خلال التركيب اللغوي لكل منهما، حيث يتحدد المعنى اللفظي لاصطلاح الأثنوغرافيا بالكتابة عن الأجناس، وتقتصر الدراسة في الأثنوغرافيا على الناحية الوصفية للحضارات، فمهمة الباحث الأثنوغرافي هي جمع البيانات دون تقديم تفسير أو تحليل لها، أي تقتصر على وصف حضارة ما دون أي تعليق عليها. بينما التحليل والتفسير يكون مهمة الباحث الأثنولوجي.

فالأثنولوجيا تستفيد عملياً من البيانات التي تزودها بها الأثنوغرافيا، ليقوم الباحث الأثنولوجي بعد ذلك بتصنيف الحضارات في مجموعات وأشكال على أساس مقاييس معينة وتحليلها واستخلاص المبادئ منها ليعمد بعد تحديد موضوع دراسته إلى إقامة الفروض والنظريات التي تتعلق بطبيعة التصرفات الإنسانية والنماذج الحضارية ووظائفها ووضع الطرق والوسائل لمعرفة صحتها.

س3: أين يكمن الارتباط بين الأنثروبولوجيا والأثنولوجيا؟

يتحدد الارتباط الوثيق بين الأنثروبولوجيا والأثنولوجيا في دراسة حضارة الإنسان وتمايزها والطرائق التي يستجيب بها الإنسان إلى ذلك التمايز والعناصر التي تشكل الحضارة والعوامل التي تعمل على انتشارها من مجتمع لآخر وانتقالها من جيل إلى جيل في المجتمع الواحد.

ثالثاً - الأنثروبولوجيا وعلم الآثار : علم الآثار :

يرمي إلى تحديد التغير الحضاري وتتابعه على مر العصور.
- يدرس ماضي الانسان.

س: هل يوجد اختلاف بين علم التاريخ وعلم الآثار؟

نعم يوجد اختلاف بين العلمين؛ فعالم التاريخ يدرس الأوقات المسجلة كتابة للمدن والكبرى والحوادث الماضية المؤرخة، حيث يعتمد إلى حد كبير على الوثائق والمخطوطات وغيرها من الوسائل التي تنقل أحداث التاريخ، بينما يهتم عالم الآثار وكذلك العالم الأنثروبولوجي بالأزمنة والمراحل التاريخية الطويلة التي قضاها الإنسان قبل اكتشاف القراءة والكتابة.

فالأنثروبولوجي وإن كان يستخدم الوثائق المكتوبة للحضارات الماضية إلا أنه يعتمد بشكل رئيسي على بقايا الحضارات التي خلفها الإنسان، حيث ينصب اهتمامه حول الآثار ليرسم صورة أشبه ما تكون إلى الأصل المنقرض وإم لم تطابقه وذلك باستخدام أساليب دقيقة في القياس ليصل إلى أكبر قدر ممكن من الدقة والتحديد في القياس الزمني.

س3: أين تكمن العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم الآثار؟

كلاهما يحاول التحقق من بقايا الحضارات والانسان التي تم اكتشافها وفق أساليب يعتمدونها عند الدراسة.

يعتمد الأنثروبولوجي على علم الآثار في تفسير وتقويم الأعمال التاريخية للإنسان بما يمكن من إعادة تشكيل التاريخ الاجتماعي والبيولوجي بأقرب الأشكال إلى الزمن الراهن، وعندما تعتمد الأنثروبولوجيا في بحوثها على معطيات علم الآثار، فإنها بما تتوصل إليه من نتائج تضيف بدورها إلى تلك المعطيات أبعاداً جديدة ترتبط بنظريات الارتقاء والأصول الأولى للحياة.

سابعاً - الأثر وبيولوجيا وعلم الوراثة:

تبحث الأنثروبولوجيا الطبيعية في الجوانب البيولوجية للإنسان، والعوامل التي أثرت في تكوين السلالات البشرية، وساهمت في اختلاف وتوزع أجناس الإنسان وتعددتها بين قوقازي وزنجي ومغولي، رغم انتمائها جميعاً إلى فصيلة واحدة هي فصيلة الإنسان العاقل. غير أن الاختلاف لا يكمن إلا في الشكل وفي الصفات الخارجية فقط ، ويبقى التركيب الداخلي والبيولوجي واحداً بين جميع أفراد الجنس البشري. وتتعين العوامل التي تسهم في تحديد الاختلافات بين أفراد النوع الواحد عن طريق التنوع بشطريه الدخيل والوراثي، الذي أطلق عليه بعض العلماء اسم التنوع الأصيل لتمييزه عن التنوع الدخيل الذي يتم من خلال عوامل أخرى لا ترتبط بالوراثة.

وبذلك فإن الأنثروبولوجيا الطبيعية عندما تبحث في الاختلافات الكامنة في النوع الواحد فإنها تأخذ بعين الاعتبار في دراستها عوامل البيئة والمحيط الخارجي من جهة، والعوامل الداخلية المرتبطة بالوراثة من جهة أخرى.

وقد أضحت الدراسات الأنثروبولوجية تعتمد على علم الحياة بشكل عام وعلى علم الوراثة بشكل خاص، حيث أصبحت قوانين الوراثة مدخلاً هاماً لفهم التنوع الأصيل.

وإذا كان اعتماد الأنثروبولوجيا على علم الوراثة اعتماداً كبيراً، فإن الأنثروبولوجيا تمد علم الوراثة بمعطيات تتعدى المسائل البيولوجية المحضة إلى التباين في أنواع السلالات البشرية وأثر البيئة في تعديل الصفات الجسدية للإنسان. وهكذا يبرز التشابك والتداخل بين المجالين في كل من الموضوعات والمعارف العلمية.

الأنثروبولوجيا وعلم اللغة:

س1: ما هو علم اللغة؟

القاسم المشترك ما بين علم اللغة والأنثروبولوجيا هي الثقافة. يهتم علم اللغة بلغات المجتمعات المدروسة من حيث أصولها وتطورها وتركيبها. وتعد اللغة من أهم عناصر الحضارة والتبادل بينهما واضح.

وينقسم علم اللغة إلى قسمين هما:

(1) علم اللغة الوصفي:

يهتم بتحليل اللغات في زمن محدد، ويدرس النظم الصوتية وقواعد اللغة والمفردات. ويعتمد الأنثروبولوجي اللغوي في دراساته على اللغة الكلامية، لذلك يستمع إلى الأفراد وخاصة أن معظم أبحاثه تكون مرتبطة بلغات كلامية لم تكتب بعد، فيقوم بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام رموز دولية متعارف عليها، وتتركز معظم هذه الدراسات في المجتمعات البدائية التي لم تعرف القراءة والكتابة، ولكن لها لغة كلامية خاصة بها، إذ لا يوجد مجتمع إنساني مهما تخلفت حضارته بدون لغة كلامية.

(2) علم أصول اللغات:

يختص بالجانب التاريخي والمقارن، حيث يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة. وتبرز المشكلة بالنسبة للغات القديمة التي لم تترك وثائق مكتوبة، إلا أنه توجد وسائل خاصة لبحث تلك اللغات وتحديد أصولها الإنسانية.

س2: لماذا يختلف الأنثروبولوجي عن دارس اللغات؟

يختلف الأنثروبولوجي عن دارس اللغات لمجرد معرفتها أو عن الفقيه اللغوي الذي ينظر إلى اللغة كوسيلة لفهم أدق للتراث من الناحية الأدبية، فالأنثروبولوجي يهدف إلى الكشف عن الأصول التاريخية لنشأة اللغة عموماً، والمجموعات المتشابهة فيها على وجه الخصوص، ويقارن اللغات بعضها ببعض ليحدد الظواهر اللغوية الشائعة بينها على وجه العموم، وبناءً على ذلك يتمكن من فهم العمليات والتطورات التي أدت إلى نشأة اللغة وتطورها واختلافها. كذلك يسجل لغات المجتمعات البدائية ليحيلها إلى لغات مكتوبة تخضع للتحليل اللفظي ومن ثم يستخرج مضمونها الحضاري. كذلك يهتم بدراسة العبارات والمقاطع التي يقتصر استعمالها فقط على الطقوس والشعائر، ويجري مقارنة بين التغيير الاجتماعي الحاصل لحضارة مجتمع ما وبين ما ينعكس من تغير مواز في مفردات لغة هذا المجتمع. كما يركز الأنثروبولوجي اهتمامه على الكشف عن كيفية نقل اللغة من جيل إلى جيل وكيف أن عمليات التوريث اللغوي هذه تنقل معها عقائد وتقاليد وأعراف المجتمع.

س3: ما هي العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم اللغة؟

يوجد ارتباط وثيق بين علم اللغة والأنثروبولوجيا الحضارية، وذلك لأن على كل منهما دراسة لغة المجتمع الذي يبحثنه، ولا يتم ذلك إلا عن طريق دراسة مبادئ علم اللغة.

لكن لعلم اللغة أقسام مستقلة في الجامعات، ويعود السبب في ذلك إلى إمكانية دراسة اللغة وتحليل عناصرها بصورة مستقلة عن بقية عناصر الحضارة. ويقوم المتخصصون في تلك الأقسام بتدريس مادة اللغويات وفروعها لطلبة أقسام الأنثروبولوجيا والأثنولوجيا.

✓سننتقل الآن للحديث عن نماذج العلماء العرب الذين

تحدثوا عن الأنثربولوجيا (هام)

أولاً: ابن خلدون: مؤسس علم الاجتماع العرب وصاحب كتاب (مقدمة

ابن خلدون) وضع أصول وأسس هذا العلم وتحدث عن فكرة العصبية ودورها في نشأة المجتمعات كما ناقش فكرة التغير الاجتماعي وفسر تاريخ المجتمعات إذاً النقاط التي تدل إلى دور ابن خلدون في تأسيس هذا العلم:

1- العصبية 2- التغير الاجتماعي 3- تفسير تاريخ المجتمعات

أما بالنسبة للغرب اعتبروا أن أوغست كونت هو مؤسس علم الاجتماع نظراً لما قدمه وأطلق على علم الاجتماع مصطلح (سوسيولوجيا) هذا المصطلح كان في عام 1839 م

المثال الثاني للعلماء العرب: أحمد أبو زيد الملقب بشيخ

الأنثربولوجيين العرب يعدّ من أبرز علماء الأنثربولوجيا العرب في القرن 20 في الإسكندرية ولد عام 1923 التحق بكلية الآداب قسم علم الاجتماع جامعة الإسكندرية تخرج عام 1944 وهناك تأثر بالعالم الإنكليزي مؤسس المدرسة البنيوية (ألفرد براون) وبعد حصوله على الماجستير من بين جامعة الإسكندرية انتقل إلى جامعة أكسفورد ليحصل على شهادة الدكتوراه عام 1950 وقام بالعديد من الدراسات في صحراء الشرق وشمال الأوسط (مغرب - جزائر).

مثال عن مؤلفاته:

1- الثأر: دراسة انثربولوجية في إحدى قرى الصعيد عام 1962

2- المجتمعات الصحراوية في مصر: دراسة انثروغرافية للنظم والأنساق

الاجتماعية 1991

3- المداخل إلى البنائية: دراسات في المجتمع والإنسان والثقافة أيضاً 1995

الأنثروبولوجيا والأسطورة

الأسطورة: هي كل شيء يناقض الواقع أو ليس له في الواقع وجود.

شكلت الأسطورة مادة خصبة للدراسات الأنثروبولوجية، حيث اهتم بها الأنثروبولوجيون وعملوا جاهزين على جمعها وتدوينها وإخراجها في كتب ومجلدات ضخمة لازالت مكتبات الجامعات الأوربية تزخر بها. فهي تفيد الباحث الأنثروبولوجي والأثنولوجي والمؤرخ والأديب والناقد وعامل الاجتماع وعالم النفس وعالم الآثار وعالم الأديان وغيرهم نتيجة ما تزخر به من قيم أدبية وفكرية ولغوية وتاريخية وحضارية ودينية وثقافية وأثرية قد تساعد الباحث إلى معرفة عمق تاريخ وحضارات وفكر الشعوب. وهناك العديد من الأساطير المشهورة، نذكر منها: أثينا، طائر العنقاء، أبو الهول، حصان طروادة، التنين... إلخ من الأساطير التي تم ذكر البعض منها الطلاب خلال المحاضرة .

سننتقل الآن للحديث عن عدة خصائص لابد من توافرها لدى الباحث الأنثروبولوجي.

خصائص الباحث الأنثروبولوجي

خصائص الباحث الأنثروبولوجي:

توجد مجموعة من الخصائص التي يجب أن يتمتع بها الباحث

الأنثروبولوجي، نذكر منها:

1. أن يكون قد تخصص في الدراسات الأنثروبولوجية سواء النظرية منها أم الحقلية. حاصل على شهادة جامعية عليا في مجال الأنثروبولوجيا.

2. هذا التخصص يملئ عليه أن يقوم بأبحاث دراسات نظرية وحقلية تحت إشراف أساتذة متخصصين في مجال الأنثروبولوجيا.
3. أن يكون لديه خلفية أنثروبولوجية يمتاز بها.
4. يحتاج الباحث الأنثروبولوجي إلى تعليم مستمر وتثقيف ذاتي في ميدان العلم الأنثروبولوجي، لماذا؟
لأن العلم من أهم خصائص التراكمية، أي دائماً يوجد فيه الجديد سواء على المستوى النظري أم على مستوى المنهجية.
5. أن يمتاز بالقدرة على الملاحظة وإتقان فن وآليات المعيشة مع الأفراد، ذلك أن الوسيلة الأساسية لجمع البيانات في الأبحاث الأنثروبولوجية هي الملاحظة بالمشاركة لمعرفة ثقافة الأفراد والمجتمع المبحوث.
6. واسع المعرفة بعادات الناس وما يمرون به من تغير وتطور.
7. أن يمتاز بمهارة اختيار المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بموضوع بحثه.
8. عند معيشة أفراد المجتمع سيواجه الباحث صعوبات وضغوطات، الأمر الذي يتطلب منه التحلي بالصبر والهدوء.
9. تابعة الباحث الأنثروبولوجي للأبحاث النظرية والحقلية ومراجعتها والتعرف إلى النتائج التي تم التوصل إليها، وما قدمته من تحليل وتفسير للقضايا التي تم دراستها.

ثانياً: مدخل إلى الأنثروبولوجيا الثقافية:

1. تعريفها وموضوعاتها.

2. نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية مراحل تطورها.

3. مراحل الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية.

4. أهم روادها.

1) تعريفها وموضوعاتها.

الأنثروبولوجيا الثقافية (Cultural anthropology) هي:

فرع (قسم) من فروع الأنثروبولوجيا العامة، المعنى المحدد لهذا العلم يتمثل بدراسة الثقافات، فالموضوع الرئيسي لدراساتها النظرية والحقلية هو الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي. فهي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية وأساليب حياة الإنسان وسلوكياته النابعة من ثقافته. وهي تدرس الشعوب القديمة كما تدرس الشعوب المعاصرة. ولا تقتصر على الشعوب البدائية فقط.

فالمعنى المبسط لذلك المفهوم هو طريقة معيشة مجتمع ما، ومن أهم عناصر الثقافة اللغة، فعن طريقها تجمع وتسجل الثقافة وتنقل من جيل إلى الآخر فيمكن نموها وتقدمها، كما إن الثقافة تزود اللغة بمعظم مضموناتها، فهي التي تعطي الإنسان الموضوعات التي يتكلم عنها، وتشمل الثقافة كذلك كل ما يصنعه الإنسان من عناصر المادة مثل الملابس والآلات والأدوات التي تزداد كثافة كلما تقدم الإنسان، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر استقر من الأنثروبولوجيا وقد عرف العالم (إدوارد تايلور) (أول من قدم أول تعريف للثقافة 1871) الثقافة: بأنها ذلك الكل المركب الذي يضم المعرفة والعادات والمعتقدات والأخلاق والفن والقانون، وأي قدرات أخرى يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن اختلاف علماء الأنثروبولوجيا الثقافية حول تفسيرهم لنشأة الثقافة وتباينها وما ينتج عنها من طبائع مختلفة ومتشابهة للناس شكل هماً أنثروبولوجياً في أوساط هذا العلم، على الرغم من أن هؤلاء العلماء قد أقروا بمبدأ وقانون تطور الثقافات.

(2) نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية وأعلامها.

لا يمكن القول أن دراسة الإنسان وثقافته هو حكراً على العصر الحديث، حيث لم يخلو تاريخ الإنسان من بعض الاهتمامات المختلفة من دراسة الإنسان وثقافته في الماضي والذي تمثل في:
(أمثلة عن هذه الاهتمامات)

1. الاهتمام بالأساطير والحكايات ذات العلاقة بالدين (أساطير الإنسان).

2. تحقيق بعض الإنجازات الثقافية: كإكتشاف النار مثلاً أو إكتشاف بعض الأدوات التي يستخدمونها في لصيد والطعام.

3. أما في الشعوب القديمة التي ساد فيها التعليم، فقد قدمت لنا تراثاً شعبياً يتمثل في قصص الإغريق وأساطيره تحت أصل الزراعة والنار.

ويبين تاريخ الأنثروبولوجيا الثقافية أن نشأتها وتطورها ودراساتها الأساسية تمتد على مجتمعات صغيرة ومحدود العدد.

- ولم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كعلم مستقل عن الأنثروبولوجيا العامة إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنكليزي (إدوارد تايلور)، الذي قدم أول تعريف شامل للثقافة

عام 1871 في كتابه (الثقافة البدائية)، ومنذ ذلك الحين مرت
الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعددة حتى وصلت على ما هي عليه في
العصر الحاضر.

← وتتمثل هذه المراحل بالآتي:

- المرحلة الأولى:

تمتد من ظهور هذه الأنثروبولوجيا وحتى نهاية القرن التاسع
عشر، وكانت عبارة عن محاولات لرسم صورة عامة لتطور الثقافة
منذ القدم والبحث أيضاً في نشأة المجتمع الإنساني.

وظهر في هذه المرحلة إلى جانب العالم الإنكليزي (إدوارد تايلور)
العالم الأمريكي (بواز) الذي أخذ بالاتجاه التاريخي في دراسة
الثقافات الإنسانية، ونذلك من جانبيين:

أولهما: إجراء دراسات تفصيلية لثقافات مجموعات صغيرة، كالقبائل
والعشائر ومراحل تطورها.

ثانيهما: إجراء مقارنة بين تاريخ التطور الثقافي عند مجموعة من
القبائل، بغية الوصول إلى قوانين عامة أو مبادئ تحكم نمو
الثقافات الإنسانية وتطورها.

- المرحلة الثانية: تمتد بين (1900-1915)، وتعد المرحلة

التكوينية حيث تركزت الجهود في الدراسات والأبحاث على
مجتمعات صغيرة محدودة لمعرفة تاريخ ثقافتها ومراحل تطورها،
وبالتالي تحديد عناصر هذه الثقافة قبل أن تنقرض.

- المرحلة الثالثة:

تقع بين (1915-1930)، وتعد فترة الازدهار، حيث تميزت بكثرة البحوث والمناقشات في القضايا التي تدخل في صلب علم الأنثروبولوجيا الثقافية، ولاسيما تلك الدراسات التي تركزت في أمريكا. ويرجع ازدهار الأنثروبولوجيا في تلك الفترة، إلى نضج هذا العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه.

وترافق ذلك بازدهار المدرسة التاريخية في أمريكا، وظهور المدرسة الانتشارية في إنكلترا، ولا سيما بعد الأخذ بمفهوم (المنطقة الثقافية) الذي طرحه (وسلر) كإطار لتحليل المعطيات الثقافية وتفسيرها، والتوصل إلى العناصر المشتركة بين الثقافات المتشابهة.

- المرحلة الرابعة:

ومدتها عشر سنوات فقط، وتقع ما بين (1930-1940). وعلى الرغم من قصر مدتها، فقد أطلق عليها الفترة التوسعية، حيث تميزت باعتراف الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثروبولوجيا الثقافية كعلم خاص في إطار الأنثروبولوجيا العامة، وخصصت لها فروع ومقررات دراسية في أقسام علم الاجتماع في الجامعات.

وقد ظهرت في هذه الفترة النظرية (التكاملية) التي تبناها (سابير) عالم الاجتماع الأمريكي، واستطاع من خلالها تحديد مجموعة متناسقة من أنماط السلوك الإنساني، والتي يمكن اعتمادها في دراسة السلوك الفردي، لدى أفراد مجتمع معين، حيث أن جوهر الثقافة هو في حقيقة الأمر، ليس إلا تفاعل الأفراد في المجتمع بعضهم مع بعض، وما ينجم عن هذا التفاعل من علاقات ومشاعر وطرائق حياتية مشتركة.

وقد تأثرت الأنثروبولوجيا في هذه الفترة-إلى حد بعيد- بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولا سيما في مفاهيمها ومناهجها، وذلك بفضل الأبحاث التي قام بها كل من (مالينوفسكي وبراون) في مجالات الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

- المرحلة الخامسة: وهي الفترة المعاصرة التي بدأت منذ عام 1940، وما زالت حتى الوقت الحاضر. وتتميز هذه المرحلة ① بتوسع نطاق الدراسات الأنثروبولوجية، خارج أوروبا وأمريكا، ② وانتشار الأنثروبولوجيا الثقافية في العديد من جامعات الدول النامية، في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

③ وترافق ذلك مع ظهور اتجاهات جديدة في الدراسات الأنثروبولوجية، وهو الاتجاه القومي كان الاتجاه القومي في مقدمة هذه الاتجاهات الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية، والذي يهدف إلى تحديد الخصائص الرئيسة للثقافة القومية. ويسمى الاتجاه القومي في تقييم الثقافة (الانطوائية القومية)، والتي تعني: أن الإنسان يفضل طريقة قومه في الحياة، على طرائق الأقوام الأخرى جميعها. تلك هي النتيجة المنطقية لعملية التثقيف الأولى، والتي يتفق بها شعور معظم الأفراد نحو ثقافتهم الخاصة، سواء أفصحوا عن هذا الشعور أو لم يفصحوا.

3- من رواد الأنثروبولوجيا الثقافية

- إدوارد تايلور باحث إنكليزي وهو المؤسس العام للأنثروبولوجيا الثقافية. له العديد من الكتب أهمها كتاب (الثقافة البدائية).

-جيمس فريزر من أهم علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين الكلاسيكيين درس في جامعة كامبريدج وأسس لعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، هذا الفرع الذي يعد ذو صلة رئيسية بالأنثروبولوجيا الثقافية .

-مالينوفسكي :من رواد الانثروبولوجيا في القرن العشرين، ولم يقتصر في دراساته الأنثروبولوجية على فرع معين اهتم بالأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية وذلك من خلال دراسته لثقافات الشعوب وكان على صلة بالعالم جيمس فريزر

-روت بيندكيت قامت بدراسة الثقافة اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية، وكذلك درست ثلاث مجموعات من قبائل الهنود الحمر، وجمعت هذه الدراسة في كتاب لها هو (نماذج من الثقافة). ويعد هذا الكتاب من الكتب المؤسسة للأنثروبولوجيا الثقافية. وقد تأثرت (روت بندكت) بأستاذها الأمريكي (فرانس بواز) الذي درس ثقافة الهنود في الساحل الشمالي الأمريكي ، واستغرقت دراسته أكثر من أربعين عاماً.

وكانت من أهم الاتجاهات الحديثة أيضاً في الأنثروبولوجيا الثقافية، تلك الدراسات التي عُنيت بالمجتمعات المتعدنة وما أطلق عليها (دراسة الحالة). كدراسة أوضاع قرية أو عدد من القرى المتجاورة، أو في منطقة معينة، أو دراسة ثقافة خاصة بمجموعة أو بفئة من البشر. إضافة إلى دراسات أكاديمية تتعلق بخصائص الأنثروبولوجيا الثقافية ومبادئها ومناهج البحث فيها وطرائقها وأساليبها .. وغيرها مما يسهم في إجراء الدراسات على أسس موضوعية وعلمية تحقق الأهداف المرجوة منها .

أيضا من أهم أعلام الأنثروبولوجيا الثقافية (مارجريت ميد) التي درست الثقافة في أكثر من مكان في العالم، وجمعت هذه الدراسات في كتاب بعنوان (من بحار الجنوب دراسات عن المراهقة والنوع في مجتمعات بدائية).

كذلك من مؤسسي الأنثروبولوجيا الثقافية (رالف لنتون) أهم كتبه (دراسة الإنسان) و(شجرة الثقافة) .

ثالثا - مراحل الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية

توجد ثلاثة مراحل للدراسات الأنثروبولوجية الثقافية، تتمثل

بالآتي :

1-المرحلة السابقة للدراسات الحقلية:

في هذه المرحلة يعد الباحث نفسه لمعرفة منهجية بالنظريات والمناهج الأنثروبولوجية أيضاً يتعرف على مدارس الأنثروبولوجيا أعلامها ودراساتها و الجديد الذي توصلوا إليه في ميدان دراسة الثقافة .بمعنى آخر تكوين خلفية أنثروبولوجية لدى الباحث .
فمثلاً يستفيد الباحث من النظريات الأنثروبولوجية بأنها تقدم له معرفة بكيفية صياغة التساؤلات والفرضيات المرتبطة بموضوع بحثه .

2-مرحلة الدراسة الحقلية (الميدانية):

في هذه المرحلة تتم الخطوات الآتية :

- ◇ يقوم الباحث الأنثروبولوجي بدراسة استطلاعية لمجتمع البحث .
- ◇ يختار وسيلة لجمع البيانات عن موضوع بحثه

تعريف الثقافة وقوانينها وخصائصها

أولاً- تعريف الثقافة:

عرفها العالم الأنثروبولوجي أ . ي. تايلور في كتابه الثقافة البدائية:
إن الثقافة هي ذلك الكل الذي يشتمل المعرفة والعقائد والفن والقانون وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في الجماعة أو المجتمع.

ب- لينتون: شكل متكامل من السلوك المكتسب ينقلها أفراد مجتمع معين.

ج- أما الدكتور أنور عبد المالك قال بشأن تعريفها ما يلي: قل لي ما هي ثقافة الانسان أقول لك على الفور ماهي شخصيته.

- نلاحظ من هذا التعريف أن الثقافة تتكون من جانبين :

1- الجانب المادي الذي يتمثل في الصناعة ووسائل الإنتاج والاختراع وكل وسائل العيش والحياة.

2- الجانب السلوكي وفيه الجوانب الظاهرة مثل العادات والتقاليد والجوانب المستترة أو اللاواعية.

إن العلاقة بين الثقافة والانسان هي التي تحدد السلوك الانساني فكل عنصر ثقافي في حقيقته استجابة لحالة ما وتعتبر لمدارس الانثروبولوجيا أن هذا الاختلاف هو المحدد الاساسي في اختلاف الشخصيات القومية .

مثال: الزواج عنصر ثقافي وهو أيضا يمثل حاجة ما لكن هذه الاستجابة تختلف من مجتمع لآخر.

ثانياً- قوانين الثقافة:

1- قانون انتقال الثقافة من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل

2- قانون الانتشار الثقافي

3- قانون التخلي والاكتساب

وفيما يلي شرح لكل قانون من القوانين أعلاه:

1- قانون انتقال الثقافة من الماضي إلى الحاضر إلى

المستقبل:

الثقافة: مجموعة من العناصر المادية والاجتماعية المشتركة بين الفرد وأسرته وجماعته ومجتمعه، والأجيال تقوم بنقل الثقافة بواسطة التعليم والتجربة والاكتساب وعن طريق التراث الشفهي والمكتوب.

فالثقافة موجودة في سلوك الناس الاجتماعي، وتنقل من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل بواسطة الأجيال، أي من الآباء للأبناء، ومن الأخوة الكبار إلى الصغار، وذلك عبر التعلم والتجربة والاكتساب.

وهذا يعني أن هذا الانتقال يشكل قانونها الأساسي، ولولاه لما كان ثمة وحدة أو تشابه أو تماثل في الشخصية الاجتماعية للمجتمع سواء في الماضي أم في الحاضر. ولكن هناك أشكال من الانقطاع بين هذه الشخصيات تفقد فيها بعض علاقات القربى وعناصر من التراث المشترك...إلخ.

والجدير بالذكر أن الثقافة لا تنتقل على وتيرة واحدة، ومثال على ذلك: موضة اللباس وبعض آداب الضيافة والأكل والشرب والسهر...إلخ. لأن الثقافة كما يقول (رالف لنتون): ذات سياق متواصل، وأن المشاركة التي تبرر إدخال عنصر ما في شكل ثقافي متكامل تقرر بالنسبة إلى السياق الاجتماعي الثقافي المتواصل وليس بالنسبة إلى ما تكون عليه تلك الثقافة في وقت معين.

2- قانون الانتشار الثقافي:

إذا كانت الثقافة تحتل جانباً مهماً في قيام البناء الاجتماعي بمهامه، فإنها من أكثر الجوانب أهمية في استمرار المجتمعات وتطورها من طور إلى آخر.

وهذه العلاقة الجدلية بين المجتمع وثقافته هي التي تشكل شرط تطور الثقافة وتغير وظائفها وتبدلها، وهي المسؤولة أيضاً عن انتقال الثقافة من جيل إلى آخر، فالثقافة تتطور بالانتشار داخل البنى الاجتماعية، ومن بيئة اجتماعية داخلية إلى بنية اجتماعية في مجتمع آخر. وتأتي خاصية انتشار الثقافة من خلال طبيعة الإنسان الاجتماعية، وعن طريق حركة الثقافة يحصل الاحتكاك والتعلم والاكتساب، فالأديب الناشئ يحاكي الأديب الذي يتميز بأسلوب معين في الكتابة ويحاول أن يقلده...إلخ.

مما تقدم يتبين أن العناصر الثقافية في حالة انتقال وانتشار واستقرار وتبادل. وانتشار الثقافة يتم إما بشكل عفوي أو إرادي داخلي وخارجي. وثمة جهات تخطط لنشر ثقافتها في المجتمعات الأخرى، وهو ما يسمى عادة بالغزو الثقافي. والجدير بالذكر أن حركة الثقافة تختلف من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر. فإذا كانت الثقافة في المجتمعات الأقل تطوراً تمتاز بحركتها البطيئة وفق آليات محددة بسيطة وغير معقدة، فإن حركتها في المجتمعات الصناعية أكثر سرعة وحيوية، ولها آليات متنوعة بالغة التعقيد.

كما أن الثقافة في المجتمعات المتقدمة تخضع للتخطيط والضبط والتوجيه الذي يكفل لها القيام بمهامها التي يرمي إليها أصحاب القرار السياسي. وهذا يعني إجرائياً أن هناك ثقافات ((ملقية)) وثقافات ((متلقية))، والثقافة الأولى موجودة في المجتمعات الصناعية، أما الثانية فإنها من شأن المجتمعات الأقل نمواً، ومنها الدول العربية.

وقد يرتب على هذا التمايز أن المجتمعات الصناعية تملك الكثير من بنوك المعلومات ومن مخابر الثقافة، وهذه وتلك مربوطة بأجهزة المعلومات

والقنوات الفضائية. وقد وضعت هذه الآليات في خدمة الثقافة لنشرها هنا وهناك، واختراق العمليات الثقافية في المجتمعات الأخرى، ومنها النامية. فالعديد من الشخصيات القومية أصبحت تتصرف في جوانب من سلوكها اليومي على الطريقة الأوروبي-أمريكية (الأوربية الأمريكية)، تطرب على طريقتهم وتلبس حسب أزيائهم وتركب وسائل المواصلات حسب إنتاج ثقافتهم. وكم من قيمة أو وازع أو عادة وتقليد انتشرت من الثقافة الغربية إلى داخل الثقافة العربية، سواء كان الانتشار عفويًا أو مقصوداً، إذ أصبح من النادر أن تجد مجتمعاً من المجتمعات بعيداً عن تأثير الثقافة الغربية. بمعنى آخر: أصبحنا في عصر الاختراق الثقافي الغربي.

خلاصة القول: شهدنا مؤخراً صعود دور مراكز الأبحاث والدراسات التي تقود وتوجه انتشار الثقافات الأوروبي-أمريكية، الهادفة إلى تطويع شخصيات الشعوب في العالم الثالث لصالحها.

وبهذا الصدد كتب الشاعر البريطاني الأصل (ت. س. أليوت)... وكثيراً ما تتخذ القوة وسيلة لفرض ثقافة أجنبية على ثقافة أدنى، وهذه المشكلة لا يمكن حلها وهي تتخذ أشكالاً كثيرة. فثمة مشكلة تتصل بثقافة أدنى للمرة الأولى، وثمة مشكلة ثانية عندما تكون الثقافة الوطنية قد بدأت تتحلل فعلاً تحت تأثير الثقافة الأجنبية، وحيث يكون أبناء الوطن قد تشربوا من الثقافة الأجنبية فعلاً أكثر مما يمكنهم طرده في وقت من الأوقات لينضجوا في الخليط الثقافي الذي أوجدناه.

وبطبيعة الحال فإن الخليط إياه تتعدد مواده وتتنوع عناصره إلى حد يمكن السياسات الثقافية الغربية من احتواء شعوب العالم والهيمنة على تفكيرها.

3- قانون التخلي والاكْتساب: تميزت الثقافات قديماً وحديثاً بعمليات التخلي والاكْتساب، وكانت هذه العمليات محكومة دائماً وأبداً

بالظروف الحضارية لكل أمة. فكلما أحرزت الأمة تقدماً واستقلالاً حضارياً، تمكنت من القيام بعلميات التخلي والاكْتساب وفق نواحيها الداخلية وحسب حاجاتها وقدراتها. ويقترن عمق تلك العلميات بمستوى التحولات الاجتماعية التي تتم داخل البناء الاجتماعي. فكلما كانت التحولات متوازنة داخل البناء الاجتماعي بحيث تتم وفق حاجات المجتمع وتتوافق مع إمكانياته، كانت عمليات التخلي والاكْتساب متلائمة مع معطياتها الاجتماعية، متوازنة مع الأبعاد الاجتماعية والحضارية التي تذهب إليها التحولات الاجتماعية.

فإذا وصل المجتمع على سبيل المثال إلى مستوى من التطور يملي إلغاء بعض أشكال الملكية وإضافة أشكال جديدة، فإن الثقافة ستعمل على ابتكار عناصر ثقافية جديدة تواكب الملكية الجديدة وتتوافق معها. وهذه الإضافات الثقافية لا تقتصر على عنصر الملكية فقط بل تمتد إلى عناصر ثقافية كثيرة منها المادية والمعنوية ومنها الأخلاقي بشكل يتجانس فيه الإلغاء والاكْتساب مع تطور الأفكار ودرجة الوعي الاجتماعي الذي وصل إليه المجتمع ومع منظومة الأفكار التي تشكل فلسفة الثقافة.

ولابد من التأكيد على أن عملية الاتصال الثقافي لها تأثيرها المباشر على عمليات التخلي والاكْتساب، فعندما يتم الاتصال بين ثقافة تعتمد على طباعة الكتب على آلات الكترونية كوسائل للطباعة أكثر تطوراً من الآلات السابقة، وتقوم بإنتاج أعداد من النسخ لا توازيها فيها الوسائل القديمة المعتمدة في الطباعة التي تملكها أو تستخدمها ثقافة أخرى، فإن الثقافة التي لا تملك الآلة الجديدة سوف تلجأ تدريجياً إلى التخلي عن الآلات القديمة واكتساب الآلة الجديدة.

ولاشك هذا المثال يمكن جعله نموذجاً لعمليات ثقافية متباينة في مضمونها وكما يمكن تعميمه على العناصر الثقافية الأخرى مثل: الزي، وطرائق كتابة القصة، ووجبات الطعام، ووسائل الركوب، والترفيه...إلخ.

على هذا الأساس تقوم الثقافات بعمليات التخلي والاكتساب دون توقف، وهذه العمليات تشكل بالنسبة لثقافات العالم قانونها الذي يحكم الثقافة ويقودها.

وقد اعتبر العلم الأنثروبولوجي أن تجديد الثقافة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليات التخلي والاكتساب. كما أن تقويم الثقافة من حيث اعتبارها ثقافة غازية أو مغزوة، حيوية أو تقليدية يتم على أساس قدرة تلك العمليات في المحافظة على الهوية القومية وتطوير معالمها حسب حاجات العصر وتحدياته.

لكن لابد من الانتباه إلى أن الثقافات لا تتماثل أو تتشابه في عمليات التخلي والاكتساب، فالأمر يختلف من ثقافة إلى أخرى، وهناك ثقافات لها قدرة خاصة على التخلي والاكتساب لا تملكها ثقافات أخرى، هذا يعني أن عمليات الثقافة مرهونة بقدرات الثقافة المتعددة المستويات.

وتقسم الثقافات حسب القدرات إلى مستويين :

1- الثقافات الديناميكية: تتميز هذه الثقافات بقدرتها على الحركة والإبداع، ويحتل فيها الإنسان مكانة مرموقة منظمة ومحفوظة بجملة من القوانين والسنن التي لا تقبل أي تعد على حقوقه، وبالمقابل تلزمه بسلسلة من الواجبات التي يؤديها بكل طوعية. كما تتميز تلك الثقافات بقدرتها على توفير الردود وإشباع الحاجيات بشكل لا يقلق الإنسان ولا يدعه ملكاً للضرورات الطبيعية. كما تتوفر فيها التعددية السياسية والحريات الفكرية وحرية القول والعمل، كما تتميز بإمكاناتها في الاختراع والابتكار والإبداع.

2- الثقافات التقليدية: وهي الثقافات التي يتحكم فيها الجمود والتقليد وانعدام الحرية، حيث مكانة الإنسان منقوصة ومحفوظة بالمخاطر، كما يضعف فيها القانون وتكافؤ الفرص ويسيطر عليها نظام القيم

التقليدي المتخلف الذي لا يساير روح العصر. كما أنها تفتقر إلى القدرة على تلبية حاجات الناس المادية والفكرية والروحية، وتقل فيها فرص العمل كما تقل فيها فرص القدرة على الابتكار والاختراع والاجتهاد والتأويل.

وتشتهر تلك الثقافات بقدرتها على التلفيق والجمع العشوائي بين القديم والحديث مثل الجمع بين الثار ودور الدولة في محاسبة المتهم أو الجاني، بين الحرية السياسية والاعتقال، بين حقوق المواطن وتعديات السلطة على هذه الحقوق، بين حرية القول والنشر وقانون الرقابة والمنع والمصادرة والاعتقال.

نخلص مما سبق: إن عمليات التخلي والاكْتساب في الثقافتين الديناميكية والتقليدية مختلفة في النوع والكيف ومختلفة في المستوى والأبعاد، بحيث نرى أن الثقافتين تنتج عمليات التخلي والاكْتساب بناءً على سننها وقوانينها الاجتماعية بالتلازم مع قوانين الثقافة.

بينما تخضع تلك العمليات في الثقافات التقليدية إلى تأثير الثقافات الديناميكية، حيث تتدخل هذه الأخيرة في قانون التخلي والاكْتساب وتعديل مساره في ترك هذا العنصر واكتساب عنصر آخر يتوافق مع مصالحها. وتصبح عمليات التخلي والاكْتساب من صنع القافة الديناميكية لأنها تظل في حالة غزو دائم للثقافات التقليدية.

وأخيراً فإن عمليات التخلي والاكْتساب تتأثر بقانون الانتشار الثقافي الذي يتم بناءً على أسلوبين، هما:

1- الأسلوب العفوي الاختياري: الذي يؤدي إلى انتقال العناصر الثقافية عن طريق الاحتكاك والاتصال والحوار الثقافي.

2- الأسلوب الإجباري: الذي يؤدي إلى انتقال العناصر الثقافية إما بسبب الحاجة أو بالضغط والإكراه القسري.

ثالثاً- خصائص الثقافة:

لكل مجتمع بشري ثقافة خاصة به تميزه عن باقي المجتمعات، وقد يحدث أن يوجد تشابه قوي بين مجتمعين لقوة الاتصال بينهما تشابه المراحل التاريخية والبيئة الجغرافية.

وبرغم التباين الضخم بين ثقافات الإنسان سواء كانت بدائية أو قروية أو تجارية أو صناعية فإنه يمكن التحدث عن خصائص عامة للثقافة تشترك فيها جميع الثقافات. وفيما يلي عرض موجز لتلك الخصائص:

1- الثقافة إنسانية: الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي منحه الخالق جهازاً عصبياً خاصاً وقدرات عقلية فريدة تتيح له إمكانية ابتكار أفكار وأعمال جديدة، ويتميز ذلك الجهاز العصبي كذلك بقدرة فائقة على تغيير السلوك البشري من وقت لآخر للتكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية الجديدة دون الحاجة إلى ضرورة حدوث تغيرات عضوية، فمثلاً انتقل الإنسان العقل من المناطق الدافئة إلى مناطق باردة جداً وتكيف معها عن طريق اختراع الملابس المصنوعة من الصوف والفراء وكذلك عن طريق اختراع بناء المسكن في داخل الثلوج واستخدام شحوم الحيوانات للتدفئة.

والثقافة هي عبارة عن أفكار يخترعها العقل البشري وينفذها الإنسان بأعضائه وبغيرها من الأدوات والآلات التي يصنعها في سبيل إشباع حاجات الإنسان والتكيف مع البيئة.

مثال على ذلك: عند انتقال الإنسان من مناطق دافئة إلى مناطق باردة فهو يقوم بالتكيف مع هذه البيئة من خلال اللباس والمسكن.

2- الثقافة مكتسبة:

عن طريق التعلم أو التجربة أو التراث الشفهي أو عن طريق الخبرة الشخصية.

مثال: عند وضع طفل من أصل أجنبي في بلد عربي فإنه يتكلم اللغة العربية.

3- الثقافة أفكار وأعمال:

النظم العائلية والعادات والتقاليد إذا حللنا تلك العلاقات الاجتماعية نجد أنها ترجع في النهاية إلى تصرفات إنسانية أي إلى أفكار وأعمال وذلك في سبيل الحاجات الإنسانية أو البشرية.

4- الثقافة كل أو نسيج متداخل:

تتكون من كل متداخل العناصر والقطاعات، ولا يستطيع أصحاب الثقافة الكشف عن هذا التداخل والتساند بين أجزاء الثقافة، وإنما يكشف ذلك التداخل الأنثروبولوجي بعد فترة من التدريب الميداني تلى دراسته الجامعية، ويفضل الأنثروبولوجيون دراسة ثقافة مجتمع لا ينتمون إليه، وذلك لصعوبة تحقيق النظرة الكلية الموضوعية اللازمة لدراسة الثقافة إذا كان الأنثروبولوجي يدرس ثقافته.

الثقافة مجموعة من العناصر والنظم مرتبطة مع بعضها البعض كل منها يؤثر في الآخر .

مثال: عنصر الدين أحد عناصر الثقافة يؤثر بالعناصر الأخرى مثل النظم العائلية- حياة العرب الاقتصادية من عادات المأكل والملبس.

5- الثقافة اجتماعية:

من صنع المجتمع وليس من صنع الأفراد وتختلف النظم الثقافية في مدى شمولها أي أنه يمكن أن تطبق على جميع أفراد المجتمع أو على جماعة معينة داخل المجتمع.

ويمكن تقسيم النظم الثقافية على أساس مدى شمولها إلى ثلاثة أنواع:

(أ) العموميات: وهي النظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع، ومن أمثلة ذلك اللغة في المجتمعات البدائية خاصة ونظام الضبط الاجتماعي.

(ب) البدائل: وهي مجموعة من النظم والعناصر الثقافية التي تطبق في موقف معين ولل فرد الحرية في اختيار أحدها وترك الباقي، ومن أمثلة ذلك بعض نظم الزواج في الثقافة الإسلامية فالمسلم يستطيع أن يتزوج بنت عمه أو بنت عمته أو بنت خاله أو بنت خالته أو من غير قريباته وحتى يستطيع أن يتزوج فتاة لا تدين بالإسلام وإنما المسيحية أو اليهودية. وعلى الرغم من وجود هذه الحرية إلا أنه يوجد قيود مثل حق المسلم في الزواج أنه لا يستطيع أن يتزوج من فتاة وثنية مثلاً.

(ج) الخصوصيات: يشتمل كل مجتمع على تقسيمات فرعية في داخله، وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت ثقافته وزادت درجة التخصص بين أعضائه، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها.

مثال ذلك:

جماعة الأطباء تستخدم المصطلحات الأجنبية بينما جماعة العمال لا تستخدم هذه المصطلحات في أحاديثها.

6- الثقافة متنوعة المضمون:

تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة في معظم الأحيان، وقد يصل هذا الاختلاف إلى درجة التناقض في بعض الأحيان. مثال ذلك: العلاقات الجنسية تتيحها بعض المجتمعات قبل الزواج ومجتمعات أخرى بعد الزواج.

7- الثقافة متشابهة الشكل: تبين الأمثلة السابقة أن الثقافات متنوعة ومختلفة في مضمون وفحوى نظمها، ولكن إذا نظرنا إلى الإطار الخارجي أو الشكلي لتلك النظم نلاحظ تشابهاً واضحاً في جميع الثقافات.

مثال ذلك: الزواج يختلف من مجتمع لآخر حتى ضمن المجتمع الواحد يوجد اختلاف لكن على الرغم من الاختلاف يوجد تشابه في الشكل ولإطار الخارجي حيث يتفق في بعض المفاهيم (زفاف- خطبة).

8- الثقافة متغيرة ومتصلة: تتغير ثقافات المجتمعات من وقت إلى آخر، هذا التغير يكون بمعدلات، فقد يسير التغير ببطء مثل المجتمعات البدائية، وهناك المجتمعات الصناعية التي تتغير بسرعة كبيرة وذلك لتوافر الحوافز للاختراع ولقوة التفاعل الاجتماعي.

ويوجد نوع ثالث من الثقافات التي تتغير بمعدل معتدل ويضح ذلك في الثقافات الزراعية في أفريقيا وآسيا وأوروبا. والثقافة في غيرها لا تقفز في حلقات منفصلة الأجزاء وإنما يتم هذا التغير في التراث الثقافي المتصل الأجزاء، لا يتم الجزء دون الآخر لأن الثقافة كل نسيج متداخل، تموت الثقافة وتنتهي بشكل تام بموت أو انقراض المجتمع إما عن طريق الغزو بأن يغزو مجتمع آخر ذو ثقافة جديدة ويفرض الثقافة الجديدة بالقوة وتموت الثقافة الواحدة.

الاتجاهات البحثية (المناهج) في مجال الأنثروبولوجيا

الثقافية

منهج البحث: هو الطريقة العلمية المنظمة التي يعتمدها الباحث عند دراسته لظاهرة أو موضوع ما، وهي التي تساعد الباحث لاحقاً في الوصول إلى تعميمات نظرية وقوانين عن الظاهرة المدروسة. ولا يمكن

لأي دراسة علمية أن تقوم دون وجود منهج يحدد مسارها ويظهر تساؤلاتها وفروضها، وطرق التحقق من صحة هذه الفروض والإجابة على التساؤلات.

وبذلك يعد منهج البحث الركيزة أو العمود الفقري في أي دراسة علمية. وقد كانت البدايات الأولى لدراسة الثقافات الإنسانية على يد الأنثروبولوجيين وذلك عند دراستهم للمجتمعات البدائية وما قبل الكتابية، حيث تم التركيز على هذه المجتمعات من خلال دراسات شمولية للأنظمة الاجتماعية. وقد تم تطوير مناهج بحثية ارتبطت بالأنثروبولوجيين، كما تم ابتكار أدوات منهجية استطاع من خلالها الباحثين تحليل الثقافة الإنسانية وعناصرها ومحتواها في المجتمعات، حيث كشفت العديد من هذه الدراسات على جوانب دقيقة من حياة الأفراد داخل المجتمع المدروس.

إذاً بدايات الأنثروبولوجيا انطلقت بكونها علم بالتركيز على المجتمعات البدائية والبسيطة والقبلية، وخرجت لاحقاً من هذا الإطار وقامت بالتركيز على دراسة المجتمعات الحديثة والصناعية المتطورة، وأخذت اتجاهاً نظرياً ونهجاً متسعاً ومختلفاً، فلم تعد تهتم فقط بدراسة الثقافات البدائية، بل اتجهت نحو المدنية والمجتمع المعقد وذلك لأسباب متعددة:

قد يكون أولها أن العديد من هذه المجتمعات البسيطة قد اندمجت مع المدينة في كثير من حالاتها، إضافة إلى أن المجتمعات البدائية قد أشبعت دراسة، حيث لم يكن هناك أياً من هذه المجتمعات لم تقوم الأنثروبولوجيا بدراسته، وبالتالي اتجهت الأنثروبولوجيا إلى دراسة المجتمعات الحديثة والمتقدمة والمعقدة.

إن هذا الاتجاه الحديث في دراسة المجتمعات المعاصرة جعل من الأنثروبولوجيا أيضاً تستخدم وسائل وأدوات منهجية مختلفة. فقد طورت

الأنثروبولوجيا من مناهجها البحثية واعتمدت على طرق وأدوات منهجية بحثة من تخصصات أخرى وذلك بحكم كونها أكثر التخصصات شمولية في دراسة الإنسان، وكذلك من أكثرها صلة بالعلوم الأخرى. وقد طورت الأنثروبولوجيا أيضاً أساليبها الحثية بما يتوافق مع تخصصاتها المختلفة والتي تميز كل فرع من فروعها بأطر وأساليب منهجية محددة. فالأنثروبولوجيا كبقية العلوم الأخرى تتميز بمناهج بحث خاصة فيها، وتتعدد هذه المناهج وتختلف أنواعها بسبب تعدد فروع الدراسات الأنثروبولوجية.

فالأنثروبولوجيا تحتوي على دراسة التطور البيولوجي والفيزيقي من ناحية، وعلى دراسة تطور الجوانب المادية وغير المادية للثقافة الإنسانية من ناحية أخرى. وكذلك تركز في جانب آخر على الثقافة الإنسانية في محيطها الاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى بروز العديد من مناهج البحث الأنثروبولوجية.

← **وسيتم التركيز في هذه المحاضرة على الاتجاهات البحثية في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية فقط، والتي يتمثل أبرزها في الآتي:**
أولاً - الاتجاه المقارن؛

وهو الاتجاه الذي يتطلب إجراء مقارنات بين مجتمعات عديدة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في درجة ونوعية الثقافة والبناء الاجتماعي. **بمعنى آخر:** مقارنة الثقافات والمجتمعات الإنسانية المختلفة وما يحمله كل من هذه المجتمعات أو الثقافات من سمات أو أوجه تشابه أو اختلاف. فيحاول الأنثروبولوجي من خلال هذا الاتجاه البحثي الكشف عن سمات التشابه والاختلاف بين المجتمعات من خلال مقارنتها بهدف رسم استنتاج عام بخصوص المجتمع وما يحتويه من ثقافات متعددة.

ولقد أكد كل من الأنثروبولوجي الأمريكي (هويل) والأنثروبولوجي البريطاني (راد كليف براون) على ضرورة الأخذ بالمنهج المقارن في الدراسات الأنثروبولوجية، لأنه المنهج الذي يميز علم الأنثروبولوجيا عن بقية العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.

وقد بدأ استخدام هذا الاتجاه في إطار دراسات الأنثروبولوجيين للمجتمعات البدائية البسيطة لتحقيق هدفين:

الهدف الأول: هو عقد مقارنات بين مجموعة من المجتمعات البدائية البسيطة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بين أنظمتها الاجتماعية، وإظهار أثر البيئة الطبيعية والثقافية في تحديد مستويات التشابه والاختلاف في هذه المجتمعات.

الهدف الثاني: هو عقد المقارنات بين المجتمعات البدائية البسيطة من جهة، والمجتمعات المعقدة المتطورة من جهة أخرى، من أجل تقديم فهم علمي لعملية تطور الثقافة الإنسانية ونظمها الاجتماعية من الأشكال البدائية إلى الأشكال المعقدة.

وإذا كانت دراسة (سيلجمان) عن القبائل النيلية الوثنية في السودان تمثل الهدف الأول للدراسات الأنثروبولوجية عن المجتمعات البدائية، فإن كتاب ((المجتمع القديم)) للأنثروبولوجي (لويس مورغان) يمثل الهدف الثاني.

وفيما اختلفت أهداف استخدام المنهج المقارن عند الأنثروبولوجيين، إلا أن الغاية المرجوة من استخدام هذا المنهج هو تقديم تعميم أو نظرية عامة من شأنها أن تفسر لنا الثقافة الإنسانية وكيفية تطورها.

والجدير بالذكر أن المنهج المقارن في الدراسات الأنثروبولوجية يعتمد بشكل عام على أساس فكرة التواتر: أي تكرار حدوث الظواهر الاجتماعية المتشابهة في مجتمعات مختلفة، وهذا معناه أن هدف الأنثروبولوجيين هو التوصل إلى قوانين

وتعميمات نظرية (كما ذكر مسبقاً) من شأنها أن تشرح لنا سبب حدوث الظواهر الاجتماعية، وذلك لأن مجرد تكرار حدوث الظاهرة في مجتمعات مختلفة والتي لم تخضع للتواصل التاريخي، يفرض على العقل القول بأن وراء هذا التواتر قانوناً عاماً يحكم عملية تكوين هذه الظاهرة وتطورها.

ثانياً- الاتجاه الأثنوغرافي؛

يقوم هذا المنهج على تقديم وصف دقيق ومنظم للجماعات الإنسانية وثقافتها ونظمها الاجتماعية، بما فيها أنظمة المعتقدات والزواج والقرابة والاقتصاد والسياسة والأسرة...إلخ.

ويركز الباحث الأثنوغرافي في دراسته على وصف مجتمع محدد، حيث يقدم لنا معلومات مكثفة عن طبيعة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية. وهذا معناه أن الباحث الأثنوغرافي لا يهدف في دراسته إلى تقديم مقارنات فيما بين المجتمعات الإنسانية المختلفة لإظهار الأوجه المشتركة وغير المشتركة فيما بينها، بل يقدم وصفاً خاصاً بهذه المجتمعات والتي من الممكن أن يستخدمها ضمن إطارها المقارن.

ويعود تاريخ الدراسات الأثنوغرافية (الوصفية) إلى فترة ما قبل عصر الميلاد، فقد كان المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) هو أول من استخدم هذا المنهج في عام 500 ق.م، عندما درس قبائل روسيا ومجتمع مصر القديم، ثم تبعه بعد ذلك الشاعر اليوناني (لوقريطس) عام 550 ق.م، الذي قدم دراسة وصفية عن تطور الثقافة الإنسانية من حالتها البدائية حتى وصولها إلى حالة الارتقاء والتمدن.

كما يعد كتاب ((المقدمة)) للعلامة العربي (ابن خلدون) من أهم الدراسات الأثنوغرافية التي قدمت وصفاً علمياً ودقيقاً عن جماعات البدو وطبيعة نظمهم الاجتماعية وطرائق معيشتهم.

كذلك نذكر دراسة الرحالة (المسعودي) والتي ضمنها في كتاب عنوانه (مروج الذهب ومعدن الجواهر) ودراسة الرحالة (ابن بطوطة) التي ضمنها في كتاب ((تحفة الأنظار في عجائب الأسفار)).

وتعد هاتين الدراستين من أهم الدراسات الأثنوغرافية (الوصفية) التي منحتنا قدراً واسعاً من الفهم عن الثقافات الإنسانية المختلفة.

لقد شكلت هذه الدراسات الوصفية اللبنة الأولى في تكوين علم الأنثروبولوجيا، وقد استمر الأنثروبولوجيين في اعتماد المنهج الأثنوغرافي في دراساتهم حتى يومنا هذا.

وقد طور علماء الأنثروبولوجيا في مطلع القرن العشرين المنهج الأثنوغرافي وجعلوا له أساسيات لا بد من اتباعها عند إجراء الدراسات الأنثروبولوجية، ومن أهم هذه الأساسيات التي يقوم عليها المنهج الأثنوغرافي المعاصر هو أن تكون الدراسة قائمة على منهجية البحث الحقلي، والذي يقصد به شرط إقامة الباحث بين أفراد المجتمع المدروس لفترة زمنية محددة، ومعرفة لغة أفراد هذا المجتمع معرفة وافية، وتعود أهمية الإقامة ومعرفة لغة أفراد المجتمع المبحوث إلى أنه من غير الممكن تقديم وصفاً موضوعياً عن مجتمع الدراسة إن لم يكن الباحث قادراً على التواصل اللغوي مع أفراد هذا المجتمع، كما أن معرفة الباحث لطبيعة ثقافة المجتمع ونظمه الاجتماعية لا يمكن أن تتم من خلال المشاهدة العابرة، لهذا وجب على الباحث الأثنوغرافي الإقامة في المجتمع المدروس.

ونخلص مما سبق إلى أن الدراسة الأثنوغرافية تعتمد على الدراسة المركزة لمجتمع ما، لأنها تزود الباحث بكل العناصر الثقافية التي يقوم عليها مجتمع الدراسة.

ويعد الأنثروبولوجي البريطاني (راد كليف براون) من الرواد الأوائل الذين قاموا بدراسات حقلية أثنوغرافية وذلك من خلال دراسته لشعوب جزر

الاندمان (الواقعة في شمال المحيط الهادي) في الفترة ما بين 1906-1908.

أيضاً تعد دراسة (مالينوفسكي) عن شعوب جزر التروبريان (الواقعة شرق غينيا الجديدة) من أهم الدراسات الحقلية الأثنوغرافية. وقد قضى (مالينوفسكي) في دراسته هذه أربع سنوات (1914-1918)، حيث عايش التروبرياندين وعرف لغتهم المحلية معرفة تامة.

أيضاً من الدراسات الأنثروبولوجية الهامة التي طبقت هذا المنهج، دراسة (ايفانز برتشارد) لقبايل النوير السودانية في عام 1940، ودراسة (فورتيز) لقبايل التلاسي النيجيرية في عام 1945.

ولعل من أهم الصفات التي تتميز بها الدراسات الأثنوغرافية هو أنها تعتمد في وصفها على تقديم فهم شمولي/ كلي للمجتمع المدروس، فالعناصر الثقافية لا تدرس كل منها بمعزل عن الآخر، كما أن النظم الاجتماعية لا يمكن تفسير كل منها على حدة وبمعزل عن بقية النظم الأخرى. على العكس من ذلك نجد أن الثقافة بكافة عناصرها ونظمها الاجتماعية يتم دراستها دراسة متكاملة، وذلك بسبب ارتباط كل جزء منها بالآخر ارتباطاً وثيقاً. كما أن العلاقة بين الثقافة والمحيط البيئي (الايكولوجي) يجب أن تخضع للدراسة والتحليل، لأن الإنسان يؤثر ويتأثر ثقافياً بالمحيط الذي يعيش فيه. وتعتمد الدراسات الأثنوغرافية على عملية الملاحظة العلمية لثقافة وأنظمة المجتمع المدروس.

وللملاحظات الأثنوغرافية في الأنثروبولوجيا

نمطين أساسيين، هما:

1- **الملاحظة المباشرة:** تتم الملاحظة المباشرة عن طريق اندماج الباحث في المجتمع نفسه، حيث يقوم بمخالطة أفراد هذا المجتمع

ومجالستهم لكي يتعلم لغتهم ويتعرف على طبيعة حياتهم الاجتماعية وسلوكياتهم الثقافية. والحقيقة أن هذا النوع من الملاحظة يمنح الباحث القدرة الكافية على دراسة ثقافة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية، ومن ثم تقديم وصف علمي متكامل عن هذا المجتمع.

وقد اعتمد على الملاحظة المباشرة العديد من مؤسسي الأنثروبولوجيا، أمثال (راد كليف براون، بريتشارد، مالاينوفسكي، فرانز بواز، بندكيت، مارجريت ميد) وغيرهم من الأنثروبولوجيين الذين اعتمدوا على اندماجهم بالمجتمع المدروس واستخدام وسيلة الملاحظة المباشرة في دراساتهم.

2- الملاحظة غير المباشرة: تتم هذه الملاحظة من خلال الرجوع إلى مصادر أخرى للحصول على المعلومات الأثنوغرافية، وذلك عن طريق الاعتماد على آراء ومؤلفات العلماء والباحثين ممن سبق لهم إجراء دراسات مجتمعات إنسانية محددة، أو الاعتماد على ملاحظات ومشاهدات الغير من الرحالة والمسافرين. أي اعتماد الباحث على المصادر والوثائق والروايات التي تتعلق بموضوع الدراسة.

ومن الذين استخدموا وسيلة الملاحظة غير المباشرة، نذكر: (ادوارد تايلور ولويس هنري مورجان) اللذان قدما وصفاً أثنوغرافياً للمجتمعات المدروسة في مجلدات ضخمة من واقع ما حصلوا عليه من وثائق وسجلات وآراء ووثائق مكتوبة.

ثالثاً- الاتجاه التجريبي:

ظهر هذا الاتجاه كردة فعل على النظريات التي ظهرت بالقرن التاسع عشر، والتي صنفت الجماعات البشرية وفق تفرقة عنصرية بحتة. ففي تلك الفترة ظهرت العديد من الكتابات التي تقول بامتياز عرق على آخر أو صفاء جنس بشري على آخر، على سبيل المثال، هناك كتابات قالت بأن الجنس الأوربي الأبيض أكثر حضارة وذكاء من بقية الشعوب الأخرى.

وحتى يتم دحض هذه الآراء العنصرية، لجأ العديد من الأنثروبولوجيين إلى استخدام المنهج التجريبي، الذي يقوم على اختبارات علمية دقيقة للتحقق مما إذا كانت هناك فوارق جوهرية في الصفات العقلية والنفسية والمزاجية (وراثية أو مكتسبة) يمتاز بها جنس بشري عن جنس آخر. وقد انتهت هذه البحوث التجريبية إلى تأكيد أنه لا توجد أية فوارق في الذكاء أو المشاعر بين جنس وآخر، وأن الفروق وإن وجدت فهي ليست إلا انعكاسات للبيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها الإنسان، وهذا معناه أن هذه الفروقات لا تتصل مطلقاً بعوامل بيولوجية أو وراثية، إنما ترد إلى محددات اجتماعية وثقافية بيئية.

ومن أشهر الدراسات التجريبية في الأنثروبولوجيا هي الدراسة التي قامت بها عالمة (روث بندكت) والتي بينت ما يسمى بنسبية الأنماط الثقافية في المجتمعات البشرية، وتعلل (بندكت) هذه النسبية الثقافية بالدور الذي تلعبه البيئة الجغرافية والاجتماعية والأسرية في تشكيل سلوكيات الأفراد واختلاف هذه السلوكيات من مجتمع إلى آخر، ولكي تؤكد صحة ما توصلت إليه، قامت بدراسة قبيلتين (الزوني والكوكيوتل) من قبائل الهنود الحمر لمعرفة أنماط السلوك المتبعة عند هاتين القبيلتين، وفيما إذا كانتا تتشابهان أو تختلفان في تلك الأنماط السلوكية.

وقد توصلت (بندكت) في دراستها هذه إلى أنه بينما يتميز أفراد قبيلة الزوني بالهدوء والتآلف، فإن أفراد قبيلة الكوكيوتل يمتازون بالانعزالية والتطرف والتنافس.

وقد أرجعت (بندكت) هذه الفروق في أنماط السلوك لدى هاتين القبيلتين إلى التأثير بالنماذج الثقافية العامة المتبعة في كل قبيلة، واختلاف وسائل التربية تبعاً لاختلاف تلك المناهج.

والجدير بالذكر أن الاتجاه التجريبي ارتبط بشكل كبير بالاتجاه المقارن، فالمقارنة التجريبية كانت الأساس في هذه الاتجاه.

الأدوات (الوسائل) البحثية في مجال الأنثروبولوجيا

الثقافية

الأداة: تستلزم عملية جمع البيانات الميدانية من الباحث تحديد الأداة/ الأدوات المناسبة لجمع هذه البيانات، حيث بإمكان الباحث اعتماد أداة أو أكثر في عملية جمع البيانات الميدانية، ويتم تحديد هذه الأداة/ الأدوات المناسبة بناء على طبيعة الموضوع المدروس والبيانات المراد الحصول عليها.

ومن الأدوات البحثية التي تعتمد في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية، نذكر الآتي:

أولاً- الملاحظة بالمشاركة:

الملاحظة: من أساليب التقويم وجمع البيانات، حيث يمكن من خلال استخدامها - وفق الضوابط المحددة لها - الحصول على مجموعة من المعلومات والبيانات التي يصعب الحصول عليها من خلال استخدام أسلوب آخر . والملاحظة هي المشاهدة والمتابعة المرئية الدقيقة للسلوك أو الظاهرة أثناء الأداء الفعلي في المواقف الطبيعية، وتسجيل ما يراه الملاحظ وفق نظام دقيق ومحدد يُعبر عن السلوك أو الظاهرة المدروسة.

وللملاحظة أنواع نذكر منها:

- الملاحظة العفوية.
- الملاحظة العلمية.
- الملاحظة الحقلية.

- الملاحظة المخبرية.

- الملاحظة بالمشاركة.

- الملاحظة من دون مشاركة.

وفيما يتعلق بالملاحظة بالمشاركة فإن بداياتها تنسب إلى المفكر البولوني

Bronisław Kasper Malinowski

الذي اشتهر بتنظيم ممارسة الأنثروبولوجيا الميدانية انطلاقاً من قناعاته بأن عمل الأنثروبولوجي يجب أن يركز على الواقع المحلي للمجتمع المدروس و خصوصياته الثقافية بدل الاكتفاء بأعمال الرحالة والفلاسفة وغيرهم .

وتقتضي أداة الملاحظة بالمشاركة إقامة الباحث بين أفراد المجتمع المدروس ومعايشة حياتهم اليومية عن كثب، الأمر الذي يتطلب من الباحث تعلم لغة أفراد المجتمع المدروس لكي يتواصل معهم بسهولة ويسر ويتضح له عادات وتقاليد هذا المجتمع، وبذلك فقط يستطيع أن يجمع المعطيات عبر ملاحظة الممارسات بشكل مباشر.

وفي مسألة اللغة فقد قضى (مالينوفسكي) رائد العمل الحقل في مجال الأنثروبولوجيا ما يقارب من عام كامل لتعلم لغة المجتمع الذي أراد دراسته والمتمثل بمجتمع ((جزر التبرياندا)).

ولعل هناك أسباب متعددة تدفع الباحث إلى استخدامه لأداة الملاحظة بالمشاركة والتي اعتمدت عليها الأنثروبولوجيا في بداية تاريخها. ومن هذه الأسباب نذكر الآتي:

■ تمكننا من جمع قدر كبير من البيانات والمعلومات عن عادات وتقاليد المجتمع، والتي لا يمكن الحصول عليها من خلال أدوات أخرى. أي تمكننا من فهم ثقافة المجتمع المدروس.

■ تسهم بشكل كبير من التخفيف من حدة التفاعل مع المبحوثين.

- تساعد على تصميم أدوات بحثية أخرى كالاستبانة والمقاييس.
- بينت لنا العديد من الدراسات انه تم كشف معلومات رئيسية وهامة عن حياة مجتمعات وطرق حياتهم من خلال استخدام أداة الملاحظة بالمشاركة. ولا بد من الإشارة إلى أنه يجب على الباحث أن يتجنب اتباع السلوكيات التي تعلمها في مجتمعه والتي قد تختلف عن سلوكيات أفراد المجتمع الذي يدرسه، كما عليه عدم انتقاد سلوكيات هؤلاء الأفراد أو محاولة تغيير عاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم بل لابد أن يقابلهم ويتحدث معهم وكأنه فرد منهم. كما على الباحث مشاركتهم حفلاتهم وطعامهم وارتداء ملابسهم وعدم الاستنكار مما قد يرى.
- وبقدر ما يستطيع الباحث أن يكتسب ثقة أفراد المجتمع الذي يدرسه، كلما كان قادراً على جمع المعلومات المهمة عن طبيعة ثقافة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية المتعددة.
- ومن أهم الإجراءات التي يجب على الباحث اتباعها أثناء تطبيق أداة الملاحظة بالمشاركة، هي عملية كتابة ((التقارير الفورية)) عن كل صغيرة وكبيرة تقابله في مجتمع الدراسة، سواء في أسلوب المعيشة أو نمط السلوك أو شكل الحكم أو ظواهر المعتقد أو الاقتصاد أو طريقة التفكير...إلخ. هذه التقارير الفورية تعكس الملاحظات اليومية للباحث والتي يراها في المجتمع المدروس.
- وتعود أهمية تدوين هذه الملاحظات اليومية إلى أنها تقودنا في النهاية إلى فهم هذا المجتمع فهماً شاملاً.

ثانياً- الإخباريين:

يمكن القول بأنها المقابلة غير الموجهة التي تتم مع ما يسمى بالإخباري الذي هو ذلك الشخص الذي يقوم بتزويد الباحث بالمعلومات المطلوبة عن المجتمع المدروس، ولديه من المعلومات التي يمكن أن تحقق هدف الدراسة

وتسهم في اتجاهها، حيث تتم أخذ المعلومات من الإخباري عن طريق المقابلة غير الموجهة في كثير من الأحيان.

أما بالنسبة لنوعية الإخباريين الذين يجب على الباحث أن يختارهم، فهم دائماً ما يكونون من ذوي المكانة الاجتماعية أو السياسية أو الدينية في المجتمع المدروس، كما يجب أن يكونوا من كبار السن، وهذا معناه أن يكون الإخباري من الأشخاص الذين يستفيد الباحث منهم في جمع المعلومات الهامة عن البناء الثقافي والاجتماعي لمجتمع الدراسة.

ووفقاً لهذه الأداة يتم اختيار الباحث لمجموعة من أفراد المجتمع المدروس وإجراء مقابلات مطولة معهم، ويقوم بتوجيه أسئلة متنوعة لهؤلاء الأفراد تاركاً الفرصة لهم ليقدموا الإجابة المسترسلة عن تلك الأسئلة، حيث لا يتدخل الباحث مطلقاً في توجيه إجابات الإخباريين، بمعنى آخر: لا يتدخل الباحث في توجيه إجاباتهم للغايات التي هو يبحث عنها.

فمثلاً قد يسأل الباحث أحد الإخباريين عن مفهوم الزواج بصورة عامة، ثم يترك للإخباري الاسترسال في الحديث عن الزواج ومفاهيمه وأهميته في المجتمع الذي ينتمي إليه.

ويمكن وصف المقابلة غير الموجهة للإخباريين على أنها نوع من الحديث العام عن الواهر الاجتماعية والسلوكيات العامة المتواجدة في المجتمع، إلا أن ميزة هذا الحديث العام بأنه لا يكون بين طرفين متساويين، بل إنه بين طرف يعرف ويفهم ما يدور في المجتمع (الإخباري)، وطرف محايد يحاول من خلال عملية السؤال والاستماع أن يفهم ما يدور في هذا المجتمع (الباحث).

ويجب على الباحث أن يكون على استعداد تام أثناء المقابلة لكي تتسنى له تسجيل وتدوين المعلومات التي يذكرها له الإخباري. ومن أهم الوسائل التي يتم استخدامها لتدوين تلك المعلومات هي آلة التسجيل والتي تضمن حفظ المعلومات التي تم الحصول عليها من الإخباري.

ثالثاً- المقابلة:

المقابلة هي محادثة تتم بين الباحث والمبحوث أو المبحوثين في زمان ومكان معينين، بهدف الحصول على المعلومات من خلال التبادل اللفظي الحاصل بين طرفي المقابلة، ومن خلال ملاحظات الباحث لانفعالات المبحوث وحركاته التعبيرية يمكن أن يستشف الباحث معطيات قد لا يفصح عنها المبحوث باستجابته اللفظية.

⬅️ والمقابلة أنواع نذكر منها:

- المقابلة الفردية.
- المقابلة الثنائية.
- المقابلة الجماعية.
- المقابلة الموجهة.
- المقابلة غير الموجهة...إلخ.

وقد تمت الإشارة مسبقاً إلى ان الباحث الأنثروبولوجي يعتمد على الإخباريين عن طريق مقابلتهم، ففي كثير من الأحيان يلجأ الباحث إلى استخدام أسلوب المقابلة مع أفراد المجتمع. وقد يستخدم الباحث الأنثروبولوجي أداة المقابلة الموجهة مع الإخباريين، كذلك قد يستخدم المقابلة غير الموجهة.

وإذا كانت المقابلة غير الموجهة هي الطريقة التي تتم تلقائياً بين الباحث وبعض أفراد المجتمع المبحوث الذين تترك لهم فرصة الإجابة المسترسلة على مختلف الأسئلة، فإن طريقة المقابلة الموجهة تتمثل في إعداد استمارة عبارة عن مجموعة من الأسئلة تتم صياغتها بدقة حول موضوع البحث المراد دراسته، بحيث تشتمل على الإجابات المحتملة بطريقة تسمح للمبحوث الإجابة عن الأسئلة بسرعة ووضوح، ثم تفرغ هذه الإجابات ضمن جداول.

وعلى الباحث أن يقرأ الأسئلة أمام الشخص المراد مقابلته ثم يسجل إجابته في الاستمارة، وينبغي أن تقرأ الأسئلة من قبل الباحث بطريقة محايدة بحيث لا

تؤثر على المستمع.

وتبرز أهمية المقابلة من حيث أنها قادرة على فحص التأثير الانفعالي للمبحوث كما ذكر أعلاه، والكشف عن تعبيراته وكذلك يمكن من خلالها أن تنشأ علاقة ود ومودة بين الباحث والمبحوث، بالإضافة إلى أنها قادرة على الكشف عن صدق المعلومات التي يمكن الحصول على من قبل المبحوث، ولاشك أن ذلك يرتبط بشكل كبير بمهارة الباحث وقدراته.

← وكنموذج للأسئلة التي يتم طرحها في المقابلة الموجهة نذكر

المثال الآتي:

لنفترض أن الباحث يريد أن يعرف طبيعة العلاقة بين الزوجين في المجتمع المدروس، من الممكن تحقيق هذا الهدف مثلاً من خلال طرح السؤال التالي: هل تشارك زوجتك في اتخاذ القرارات ، ويتم وضع عدة إجابات مثل: نعم لا أحياناً، ويترك للمبحوث حرية اختيار أحد هذه الاحتمالات. وهذا النمط من الأسئلة يسمى بالأسئلة المغلقة، لكن يمكن أن تتضمن المقابلة الموجهة النمط الثاني من الأسئلة وهو الأسئلة المفتوحة هي التي تسمح للمبحوث أن يتحدث ويعبر عن رأيه، مثل سؤاله عن رأيه في قضية ما أو اقتراحه في مسألة محددة وغيرها.

رابعاً- تاريخ الحياة:

كثيراً ما يستخدم الأنثروبولوجيين طريقة تاريخ الحياة أثناء دراستهم الميدانية بقصد جمع العديد من المعلومات الأثنوغرافية عن المجتمع المدروس. وهي عبار عن عرض للسيرة الذاتية وتاريخ الحياة.

وتقوم هذه الطريقة على اختيار الباحث لشخصية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية او دينية، ويطلب منه أن يقص عليه سيرة حياته وما صادفها من أحداث منذ الصغر وحتى تاريخ اللحظة التي يحادثه فيها. وغاية الباحث هنا ليست قصة حياة الفرد كما تروى، بل ما يهمه هنا هو استقرار العلاقة

الاجتماعية والأحداث التاريخية والعناصر الثقافية والمعتقدات الدينية التي تشكل المجتمع وتحدد تطوره.

⇨ وينقسم تاريخ الحياة إلى نوعين:

1- أوتوبيوغرافي: وهو الذي يعتمد على سرد المبحوث لسيرته الذاتية وحياته بنفسه دون تدخل الباحث.

2- البيوجرافي: وهنا يتدخل الباحث في توجيه مسار حديث المبحوث وتحديد مسار حياته بما يرتبط بموضوع بحثه وما يريد الباحث الوصول إليه.

وحتى يتمكن الباحث من التحقق من صحة المعلومات التي يذكرها شخص ما في سيرته الذاتية، فإن عليه أيضاً أن يعتمد على سير ذاتية لأشخاص آخرين، ومن ثم استخدام طريقة المقارنة فيما بين هذه السير الذاتية للوصول إلى معلومات لها صفة العمومية والموضوعية، حيث من خلال المقارنة يمكن تقديم وصف عام للثقافة، وتحديد المعلومات ومدى دقتها.

خامساً- استخدام الوثائق

كذلك يعتمد الباحث الأنثروبولوجي في بحثه على استخدام الوثائق بهدف الحصول على المعلومات التي يحتاجها.

⇨ وهناك نوعان من الوثائق، هما:

- الوثائق المكتوبة: التي تتوافر في المجتمعات التي تعرف الكتابة والقراءة.

- الوثائق الشفهية: وهي التي يتم تناقلها عن طريق القصص والأشعار الشفاهية، ويتم الاعتماد عليها في المجتمعات الأمية.

وميزة هذين النوعين من الوثائق هو أنهما يمنحان الباحث العديد من المعلومات التي قد لا يستطيع جمعها عن طريق المقابلات، كما أن هذه الوثائق قد تنبه الباحث على جوانب اجتماعية أخرى لم يلحظها من قبل في مجتمع الدراسة.

سادساً- الطريقة الجينالوجية:

وتسمى أيضاً بطريقة تتبع النسب، حيث يحاول الباحث من خلالها الاعتماد على أحد الإخباريين في المجتمع وتتبع العلاقات الخاصة به مع سائر الأفراد المرتبطين به قرابياً ويقوم بتسجيل العديد من المعلومات عن هؤلاء من أسماء وتاريخ ميلاد وزواج وطلاق ووفاة وإقامة وروابط زواجية والعمل... إلخ من البيانات التي ترتبط بموضوع الدراسة. ويقوم الباحث في النهاية بتفريغ هذه البيانات لفهم العلاقات السائدة في مجتمع الدراسة بعد أن يضعها بتخطيط هندسي حتى يفهم شبكة العلاقات السائدة، ويتم وفقاً لهذه الطريقة تضمين أكبر قدر من المعلومات عن الأفراد وتتبع الأجيال، فيكشف الباحث من خلالها قضايا خاصة بالزواج والهجرة والعلاقات بين الأفراد ونظام الوراثة وغيرها من العلاقات.

- ◊ تأمين الإقامة في مجتمع البحث والحصول على إذن للقيام بالدراسة في هذا المجتمع .
- ◊ يتعرف إلى لغة ولهجات أفراد المجتمع المبحوث ويستعين الباحث بمترجم إن لزم الأمر .
- ◊ يعتمد الباحث في هذه المرحلة في دراسته للثقافة على الأدوات

الآتية :

- الملاحظة بالمشاركة .
- المقابلة لأصحاب الأمر من وجهاء ورؤساء عشائر ومسؤولين
- إعداد استمارة تتضمن أسئلة حول موضوع البحث، أو تسجيل المقابلات على أجهزة تسجيل
- دراسة تاريخ مجتمع البحث والأفراد المبحوثين

3-المرحلة الأخيرة من الدراسة الحقلية

في هذه المرحلة يقوم الباحث بعدة خطوات تتمثل بالآتي:

- ◊ يقوم الباحث بعد جمع البيانات بمراجعة كل ما جمعه وكتبه وسجله ودونه من ملاحظات
- ◊ تنظيم البيانات وترتيبها حسب أولوياتها التي يحددها مخطط الدراسة .
- ◊ فحص البيانات من حيث إذا كانت تجيب عن تساؤلات البحث .
- ◊ معرفة مدى صلتها بالأبحاث والدراسات السابقة .
- ◊ التعرف إلى النتائج التي توصل إليها الباحث من دراسته وما الجديد الذي أتت به هذه الدراسة .
- ◊ ما علاقة هذه النتائج بالحقائق الثقافية في مجتمع الدراسة الحقلية .

تعريف الثقافة وقوانينها وخصائصها

أولاً- تعريف الثقافة:

عرفها العالم الأنثروبولوجي أ . ي. تايلور في كتابه الثقافة البدائية:
إن الثقافة هي ذلك الكل الذي يشتمل المعرفة والعقائد والفن والقانون وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في الجماعة أو المجتمع.

ب- لينتون: شكل متكامل من السلوك المكتسب ينقلها أفراد مجتمع معين.

ج- أما الدكتور أنور عبد المالك قال بشأن تعريفها ما يلي: قل لي ما هي ثقافة الانسان أقول لك على الفور ماهي شخصيته.

- نلاحظ من هذا التعريف أن الثقافة تتكون من جانبين :

1- الجانب المادي الذي يتمثل في الصناعة ووسائل الإنتاج والاختراع وكل وسائل العيش والحياة.

2- الجانب السلوكي وفيه الجوانب الظاهرة مثل العادات والتقاليد والجوانب المستترة أو اللاواعية.

إن العلاقة بين الثقافة والانسان هي التي تحدد السلوك الانساني فكل عنصر ثقافي في حقيقته استجابة لحالة ما وتعتبر لمدارس الانثروبولوجيا أن هذا الاختلاف هو المحدد الاساسي في اختلاف الشخصيات القومية .

مثال: الزواج عنصر ثقافي وهو أيضا يمثل حاجة ما لكن هذه الاستجابة تختلف من مجتمع لآخر.

ثانياً- قوانين الثقافة:

1- قانون انتقال الثقافة من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل

2- قانون الانتشار الثقافي

3- قانون التخلي والاكتساب

وفيما يلي شرح لكل قانون من القوانين أعلاه:

1- قانون انتقال الثقافة من الماضي إلى الحاضر إلى

المستقبل:

الثقافة: مجموعة من العناصر المادية والاجتماعية المشتركة بين الفرد وأسرته وجماعته ومجتمعه، والأجيال تقوم بنقل الثقافة بواسطة التعليم والتجربة والاكتساب وعن طريق التراث الشفهي والمكتوب.

فالثقافة موجودة في سلوك الناس الاجتماعي، وتنقل من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل بواسطة الأجيال، أي من الآباء للأبناء، ومن الأخوة الكبار إلى الصغار، وذلك عبر التعلم والتجربة والاكتساب.

وهذا يعني أن هذا الانتقال يشكل قانونها الأساسي، ولولاه لما كان ثمة وحدة أو تشابه أو تماثل في الشخصية الاجتماعية للمجتمع سواء في الماضي أم في الحاضر. ولكن هناك أشكال من الانقطاع بين هذه الشخصيات تفقد فيها بعض علاقات القربى وعناصر من التراث المشترك...إلخ.

والجدير بالذكر أن الثقافة لا تنتقل على وتيرة واحدة، ومثال على ذلك: موضة اللباس وبعض آداب الضيافة والأكل والشرب والسهر...إلخ. لأن الثقافة كما يقول (رالف لنتون): ذات سياق متواصل، وأن المشاركة التي تبرر إدخال عنصر ما في شكل ثقافي متكامل تقرر بالنسبة إلى السياق الاجتماعي الثقافي المتواصل وليس بالنسبة إلى ما تكون عليه تلك الثقافة في وقت معين.

2- قانون الانتشار الثقافي:

إذا كانت الثقافة تحتل جانباً مهماً في قيام البناء الاجتماعي بمهامه، فإنها من أكثر الجوانب أهمية في استمرار المجتمعات وتطورها من طور إلى آخر.

وهذه العلاقة الجدلية بين المجتمع وثقافته هي التي تشكل شرط تطور الثقافة وتغير وظائفها وتبدلها، وهي المسؤولة أيضاً عن انتقال الثقافة من جيل إلى آخر، فالثقافة تتطور بالانتشار داخل البنى الاجتماعية، ومن بيئة اجتماعية داخلية إلى بنية اجتماعية في مجتمع آخر. وتأتي خاصية انتشار الثقافة من خلال طبيعة الإنسان الاجتماعية، وعن طريق حركة الثقافة يحصل الاحتكاك والتعلم والاكتساب، فالأديب الناشئ يحاكي الأديب الذي يتميز بأسلوب معين في الكتابة ويحاول أن يقلده...إلخ.

مما تقدم يتبين أن العناصر الثقافية في حالة انتقال وانتشار واستقرار وتبادل. وانتشار الثقافة يتم إما بشكل عفوي أو إرادي داخلي وخارجي. وثمة جهات تخطط لنشر ثقافتها في المجتمعات الأخرى، وهو ما يسمى عادة بالغزو الثقافي. والجدير بالذكر أن حركة الثقافة تختلف من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر. فإذا كانت الثقافة في المجتمعات الأقل تطوراً تمتاز بحركتها البطيئة وفق آليات محددة بسيطة وغير معقدة، فإن حركتها في المجتمعات الصناعية أكثر سرعة وحيوية، ولها آليات متنوعة بالغة التعقيد.

كما أن الثقافة في المجتمعات المتقدمة تخضع للتخطيط والضبط والتوجيه الذي يكفل لها القيام بمهامها التي يرمي إليها أصحاب القرار السياسي. وهذا يعني إجرائياً أن هناك ثقافات ((ملقية)) وثقافات ((متلقية))، والثقافة الأولى موجودة في المجتمعات الصناعية، أما الثانية فإنها من شأن المجتمعات الأقل نمواً، ومنها الدول العربية.

وقد يرتب على هذا التمايز أن المجتمعات الصناعية تملك الكثير من بنوك المعلومات ومن مخابر الثقافة، وهذه وتلك مربوطة بأجهزة المعلومات

والقنوات الفضائية. وقد وضعت هذه الآليات في خدمة الثقافة لنشرها هنا وهناك، واختراق العمليات الثقافية في المجتمعات الأخرى، ومنها النامية. فالعديد من الشخصيات القومية أصبحت تتصرف في جوانب من سلوكها اليومي على الطريقة الأوروبي-أمريكية (الأوربية الأمريكية)، تطرب على طريقتهم وتلبس حسب أزيائهم وتركب وسائل المواصلات حسب إنتاج ثقافتهم. وكم من قيمة أو وازع أو عادة وتقليد انتشرت من الثقافة الغربية إلى داخل الثقافة العربية، سواء كان الانتشار عفويًا أو مقصوداً، إذ أصبح من النادر أن تجد مجتمعاً من المجتمعات بعيداً عن تأثير الثقافة الغربية. بمعنى آخر: أصبحنا في عصر الاختراق الثقافي الغربي.

خلاصة القول: شهدنا مؤخراً صعود دور مراكز الأبحاث والدراسات التي تقود وتوجه انتشار الثقافات الأوروبي-أمريكية، الهادفة إلى تطويع شخصيات الشعوب في العالم الثالث لصالحها.

وبهذا الصدد كتب الشاعر البريطاني الأصل (ت. س. أليوت)... وكثيراً ما تتخذ القوة وسيلة لفرض ثقافة أجنبية على ثقافة أدنى، وهذه المشكلة لا يمكن حلها وهي تتخذ أشكالاً كثيرة. فثمة مشكلة تتصل بثقافة أدنى للمرة الأولى، وثمة مشكلة ثانية عندما تكون الثقافة الوطنية قد بدأت تتحلل فعلاً تحت تأثير الثقافة الأجنبية، وحيث يكون أبناء الوطن قد تشربوا من الثقافة الأجنبية فعلاً أكثر مما يمكنهم طرده في وقت من الأوقات لينضجوا في الخليط الثقافي الذي أوجدناه.

وبطبيعة الحال فإن الخليط إياه تتعدد مواده وتتنوع عناصره إلى حد يمكن السياسات الثقافية الغربية من احتواء شعوب العالم والهيمنة على تفكيرها.

3- قانون التخلي والاكْتساب: تميزت الثقافات قديماً وحديثاً بعمليات التخلي والاكْتساب، وكانت هذه العمليات محكومة دائماً وأبداً

بالظروف الحضارية لكل أمة. فكلما أحرزت الأمة تقدماً واستقلالاً حضارياً، تمكنت من القيام بعلميات التخلي والاكْتساب وفق نواحيها الداخلية وحسب حاجاتها وقدراتها. ويقترن عمق تلك العلميات بمستوى التحولات الاجتماعية التي تتم داخل البناء الاجتماعي. فكلما كانت التحولات متوازنة داخل البناء الاجتماعي بحيث تتم وفق حاجات المجتمع وتتوافق مع إمكانياته، كانت عمليات التخلي والاكْتساب متلائمة مع معطياتها الاجتماعية، متوازنة مع الأبعاد الاجتماعية والحضارية التي تذهب إليها التحولات الاجتماعية.

فإذا وصل المجتمع على سبيل المثال إلى مستوى من التطور يملي إلغاء بعض أشكال الملكية وإضافة أشكال جديدة، فإن الثقافة ستعمل على ابتكار عناصر ثقافية جديدة تواكب الملكية الجديدة وتتوافق معها. وهذه الإضافات الثقافية لا تقتصر على عنصر الملكية فقط بل تمتد إلى عناصر ثقافية كثيرة منها المادية والمعنوية ومنها الأخلاقي بشكل يتجانس فيه الإلغاء والاكْتساب مع تطور الأفكار ودرجة الوعي الاجتماعي الذي وصل إليه المجتمع ومع منظومة الأفكار التي تشكل فلسفة الثقافة.

ولابد من التأكيد على أن عملية الاتصال الثقافي لها تأثيرها المباشر على عمليات التخلي والاكْتساب، فعندما يتم الاتصال بين ثقافة تعتمد على طباعة الكتب على آلات الكترونية كوسائل للطباعة أكثر تطوراً من الآلات السابقة، وتقوم بإنتاج أعداد من النسخ لا توازيها فيها الوسائل القديمة المعتمدة في الطباعة التي تملكها أو تستخدمها ثقافة أخرى، فإن الثقافة التي لا تملك الآلة الجديدة سوف تلجأ تدريجياً إلى التخلي عن الآلات القديمة واكتساب الآلة الجديدة.

ولاشك هذا المثال يمكن جعله نموذجاً لعمليات ثقافية متباينة في مضمونها وكما يمكن تعميمه على العناصر الثقافية الأخرى مثل: الزي، وطرائق كتابة القصة، ووجبات الطعام، ووسائل الركوب، والترفيه... إلخ.

على هذا الأساس تقوم الثقافات بعمليات التخلي والاكتساب دون توقف، وهذه العمليات تشكل بالنسبة لثقافات العالم قانونها الذي يحكم الثقافة ويقودها.

وقد اعتبر العلم الأنثروبولوجي أن تجديد الثقافة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليات التخلي والاكتساب. كما أن تقويم الثقافة من حيث اعتبارها ثقافة غازية أو مغزوة، حيوية أو تقليدية يتم على أساس قدرة تلك العمليات في المحافظة على الهوية القومية وتطوير معالمها حسب حاجات العصر وتحدياته.

لكن لابد من الانتباه إلى أن الثقافات لا تتماثل أو تتشابه في عمليات التخلي والاكتساب، فالأمر يختلف من ثقافة إلى أخرى، وهناك ثقافات لها قدرة خاصة على التخلي والاكتساب لا تملكها ثقافات أخرى، هذا يعني أن عمليات الثقافة مرهونة بقدرات الثقافة المتعددة المستويات.

وتقسم الثقافات حسب القدرات إلى مستويين :

1- الثقافات الديناميكية: تتميز هذه الثقافات بقدرتها على الحركة والإبداع، ويحتل فيها الإنسان مكانة مرموقة منظمة ومحفوظة بجملة من القوانين والسنن التي لا تقبل أي تعد على حقوقه، وبالمقابل تلزمه بسلسلة من الواجبات التي يؤديها بكل طوعية. كما تتميز تلك الثقافات بقدرتها على توفير الردود وإشباع الحاجيات بشكل لا يقلق الإنسان ولا يدعه ملكاً للضرورات الطبيعية. كما تتوفر فيها التعددية السياسية والحريات الفكرية وحرية القول والعمل، كما تتميز بإمكاناتها في الاختراع والابتكار والإبداع.

2- الثقافات التقليدية: وهي الثقافات التي يتحكم فيها الجمود والتقليد وانعدام الحرية، حيث مكانة الإنسان منقوصة ومحفوظة بالمخاطر، كما يضعف فيها القانون وتكافؤ الفرص ويسيطر عليها نظام القيم

التقليدي المتخلف الذي لا يساير روح العصر. كما أنها تفتقر إلى القدرة على تلبية حاجات الناس المادية والفكرية والروحية، وتقل فيها فرص العمل كما تقل فيها فرص القدرة على الابتكار والاختراع والاجتهاد والتأويل.

وتشتهر تلك الثقافات بقدرتها على التلفيق والجمع العشوائي بين القديم والحديث مثل الجمع بين الثأر ودور الدولة في محاسبة المتهم أو الجاني، بين الحرية السياسية والاعتقال، بين حقوق المواطن وتعديات السلطة على هذه الحقوق، بين حرية القول والنشر وقانون الرقابة والمنع والمصادرة والاعتقال.

نخلص مما سبق: إن عمليات التخلي والاكْتساب في الثقافتين الديناميكية والتقليدية مختلفة في النوع والكيف ومختلفة في المستوى والأبعاد، بحيث نرى أن الثقافتين تنتج عمليات التخلي والاكْتساب بناءً على سننها وقوانينها الاجتماعية بالتلازم مع قوانين الثقافة.

بينما تخضع تلك العمليات في الثقافات التقليدية إلى تأثير الثقافات الديناميكية، حيث تتدخل هذه الأخيرة في قانون التخلي والاكْتساب وتعديل مساره في ترك هذا العنصر واكتساب عنصر آخر يتوافق مع مصالحها. وتصبح عمليات التخلي والاكْتساب من صنع القافة الديناميكية لأنها تظل في حالة غزو دائم للثقافات التقليدية.

وأخيراً فإن عمليات التخلي والاكْتساب تتأثر بقانون الانتشار الثقافي الذي يتم بناءً على أسلوبين، هما:

1- الأسلوب العفوي الاختياري: الذي يؤدي إلى انتقال العناصر الثقافية عن طريق الاحتكاك والاتصال والحوار الثقافي.

2- الأسلوب الإجباري: الذي يؤدي إلى انتقال العناصر الثقافية إما بسبب الحاجة أو بالضغط والإكراه القسري.

ثالثاً- خصائص الثقافة:

لكل مجتمع بشري ثقافة خاصة به تميزه عن باقي المجتمعات، وقد يحدث أن يوجد تشابه قوي بين مجتمعين لقوة الاتصال بينهما تشابه المراحل التاريخية والبيئة الجغرافية.

وبرغم التباين الضخم بين ثقافات الإنسان سواء كانت بدائية أو قروية أو تجارية أو صناعية فإنه يمكن التحدث عن خصائص عامة للثقافة تشترك فيها جميع الثقافات. وفيما يلي عرض موجز لتلك الخصائص:

1- الثقافة إنسانية: الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي منحه الخالق جهازاً عصبياً خاصاً وقدرات عقلية فريدة تتيح له إمكانية ابتكار أفكار وأعمال جديدة، ويتميز ذلك الجهاز العصبي كذلك بقدرة فائقة على تغيير السلوك البشري من وقت لآخر للتكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية الجديدة دون الحاجة إلى ضرورة حدوث تغيرات عضوية، فمثلاً انتقل الإنسان العقل من المناطق الدافئة إلى مناطق باردة جداً وتكيف معها عن طريق اختراع الملابس المصنوعة من الصوف والفراء وكذلك عن طريق اختراع بناء المسكن في داخل الثلوج واستخدام شحوم الحيوانات للتدفئة.

والثقافة هي عبارة عن أفكار يخترعها العقل البشري وينفذها الإنسان بأعضائه وبغيرها من الأدوات والآلات التي يصنعها في سبيل إشباع حاجات الإنسان والتكيف مع البيئة.

مثال على ذلك: عند انتقال الإنسان من مناطق دافئة إلى مناطق باردة فهو يقوم بالتكيف مع هذه البيئة من خلال اللباس والمسكن.

2- الثقافة مكتسبة:

عن طريق التعلم أو التجربة أو التراث الشفهي أو عن طريق الخبرة الشخصية.

مثال: عند وضع طفل من أصل أجنبي في بلد عربي فإنه يتكلم اللغة العربية.

3- الثقافة أفكار وأعمال:

النظم العائلية والعادات والتقاليد إذا حللنا تلك العلاقات الاجتماعية نجد أنها ترجع في النهاية إلى تصرفات إنسانية أي إلى أفكار وأعمال وذلك في سبيل الحاجات الإنسانية أو البشرية.

4- الثقافة كل أو نسيج متداخل:

تتكون من كل متداخل العناصر والقطاعات، ولا يستطيع أصحاب الثقافة الكشف عن هذا التداخل والتساند بين أجزاء الثقافة، وإنما يكشف ذلك التداخل الأنثروبولوجي بعد فترة من التدريب الميداني تلى دراسته الجامعية، ويفضل الأنثروبولوجيون دراسة ثقافة مجتمع لا ينتمون إليه، وذلك لصعوبة تحقيق النظرة الكلية الموضوعية اللازمة لدراسة الثقافة إذا كان الأنثروبولوجي يدرس ثقافته.

الثقافة مجموعة من العناصر والنظم مرتبطة مع بعضها البعض كل منها يؤثر في الآخر .

مثال: عنصر الدين أحد عناصر الثقافة يؤثر بالعناصر الأخرى مثل النظم العائلية- حياة العرب الاقتصادية من عادات المأكل والملبس.

5- الثقافة اجتماعية:

من صنع المجتمع وليس من صنع الأفراد وتختلف النظم الثقافية في مدى شمولها أي أنه يمكن أن تطبق على جميع أفراد المجتمع أو على جماعة معينة داخل المجتمع.

ويمكن تقسيم النظم الثقافية على أساس مدى شمولها إلى ثلاثة أنواع:

(أ) العموميات: وهي النظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع، ومن أمثلة ذلك اللغة في المجتمعات البدائية خاصة ونظام الضبط الاجتماعي.

(ب) البدائل: وهي مجموعة من النظم والعناصر الثقافية التي تطبق في موقف معين ولل فرد الحرية في اختيار أحدها وترك الباقي، ومن أمثلة ذلك بعض نظم الزواج في الثقافة الإسلامية فالمسلم يستطيع أن يتزوج بنت عمه أو بنت عمته أو بنت خاله أو بنت خالته أو من غير قريباته وحتى يستطيع أن يتزوج فتاة لا تدين بالإسلام وإنما المسيحية أو اليهودية. وعلى الرغم من وجود هذه الحرية إلا أنه يوجد قيود مثل حق المسلم في الزواج أنه لا يستطيع أن يتزوج من فتاة وثنية مثلاً.

(ج) الخصوصيات: يشتمل كل مجتمع على تقسيمات فرعية في داخله، وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت ثقافته وزادت درجة التخصص بين أعضائه، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها.

مثال ذلك:

جماعة الأطباء تستخدم المصطلحات الأجنبية بينما جماعة العمال لا تستخدم هذه المصطلحات في أحاديثها.

6- الثقافة متنوعة المضمون:

تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة في معظم الأحيان، وقد يصل هذا الاختلاف إلى درجة التناقض في بعض الأحيان. مثال ذلك: العلاقات الجنسية تتيحها بعض المجتمعات قبل الزواج ومجتمعات أخرى بعد الزواج.

7- الثقافة متشابهة الشكل: تبين الأمثلة السابقة أن الثقافات متنوعة ومختلفة في مضمون وفحوى نظمها، ولكن إذا نظرنا إلى الإطار الخارجي أو الشكلي لتلك النظم نلاحظ تشابهاً واضحاً في جميع الثقافات.

مثال ذلك: الزواج يختلف من مجتمع لآخر حتى ضمن المجتمع الواحد يوجد اختلاف لكن على الرغم من الاختلاف يوجد تشابه في الشكل ولإطار الخارجي حيث يتفق في بعض المفاهيم (زفاف- خطبة).

8- الثقافة متغيرة ومتصلة: تتغير ثقافات المجتمعات من وقت إلى آخر، هذا التغير يكون بمعدلات، فقد يسير التغير ببطء مثل المجتمعات البدائية، وهناك المجتمعات الصناعية التي تتغير بسرعة كبيرة وذلك لتوافر الحوافز للاختراع ولقوة التفاعل الاجتماعي.

ويوجد نوع ثالث من الثقافات التي تتغير بمعدل معتدل ويضح ذلك في الثقافات الزراعية في أفريقيا وآسيا وأوروبا. والثقافة في غيرها لا تقفز في حلقات منفصلة الأجزاء وإنما يتم هذا التغير في التراث الثقافي المتصل الأجزاء، لا يتم الجزء دون الآخر لأن الثقافة كل نسيج متداخل، تموت الثقافة وتنتهي بشكل تام بموت أو انقراض المجتمع إما عن طريق الغزو بأن يغزو مجتمع آخر ذو ثقافة جديدة ويفرض الثقافة الجديدة بالقوة وتموت الثقافة الواحدة.

الاتجاهات البحثية (المناهج) في مجال الأنثروبولوجيا

الثقافية

منهج البحث: هو الطريقة العلمية المنظمة التي يعتمد عليها الباحث عند دراسته لظاهرة أو موضوع ما، وهي التي تساعد الباحث لاحقاً في الوصول إلى تعميمات نظرية وقوانين عن الظاهرة المدروسة. ولا يمكن

لأي دراسة علمية أن تقوم دون وجود منهج يحدد مسارها ويظهر تساؤلاتها وفروضها، وطرق التحقق من صحة هذه الفروض والإجابة على التساؤلات.

وبذلك يعد منهج البحث الركيزة أو العمود الفقري في أي دراسة علمية. وقد كانت البدايات الأولى لدراسة الثقافات الإنسانية على يد الأنثروبولوجيين وذلك عند دراستهم للمجتمعات البدائية وما قبل الكتابية، حيث تم التركيز على هذه المجتمعات من خلال دراسات شمولية للأنظمة الاجتماعية. وقد تم تطوير مناهج بحثية ارتبطت بالأنثروبولوجيين، كما تم ابتكار أدوات منهجية استطاع من خلالها الباحثين تحليل الثقافة الإنسانية وعناصرها ومحتواها في المجتمعات، حيث كشفت العديد من هذه الدراسات على جوانب دقيقة من حياة الأفراد داخل المجتمع المدروس.

إذاً بدايات الأنثروبولوجيا انطلقت بكونها علم بالتركيز على المجتمعات البدائية والبسيطة والقبلية، وخرجت لاحقاً من هذا الإطار وقامت بالتركيز على دراسة المجتمعات الحديثة والصناعية المتطورة، وأخذت اتجاهاً نظرياً ونهجاً متسعاً ومختلفاً، فلم تعد تهتم فقط بدراسة الثقافات البدائية، بل اتجهت نحو المدنية والمجتمع المعقد وذلك لأسباب متعددة:

قد يكون أولها أن العديد من هذه المجتمعات البسيطة قد اندمجت مع المدينة في كثير من حالاتها، إضافة إلى أن المجتمعات البدائية قد أشبعت دراسة، حيث لم يكن هناك أياً من هذه المجتمعات لم تقوم الأنثروبولوجيا بدراسته، وبالتالي اتجهت الأنثروبولوجيا إلى دراسة المجتمعات الحديثة والمتقدمة والمعقدة.

إن هذا الاتجاه الحديث في دراسة المجتمعات المعاصرة جعل من الأنثروبولوجيا أيضاً تستخدم وسائل وأدوات منهجية مختلفة. فقد طورت

الأنثروبولوجيا من مناهجها البحثية واعتمدت على طرق وأدوات منهجية بحتة من تخصصات أخرى وذلك بحكم كونها أكثر التخصصات شمولية في دراسة الإنسان، وكذلك من أكثرها صلة بالعلوم الأخرى. وقد طورت الأنثروبولوجيا أيضاً أساليبها الحثية بما يتوافق مع تخصصاتها المختلفة والتي تميز كل فرع من فروعها بأطر وأساليب منهجية محددة. فالأنثروبولوجيا كبقية العلوم الأخرى تتميز بمناهج بحث خاصة فيها، وتتعدد هذه المناهج وتختلف أنواعها بسبب تعدد فروع الدراسات الأنثروبولوجية.

فالأنثروبولوجيا تحتوي على دراسة التطور البيولوجي والفيزيقي من ناحية، وعلى دراسة تطور الجوانب المادية وغير المادية للثقافة الإنسانية من ناحية أخرى. وكذلك تركز في جانب آخر على الثقافة الإنسانية في محيطها الاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى بروز العديد من مناهج البحث الأنثروبولوجية.

← **وسيتم التركيز في هذه المحاضرة على الاتجاهات البحثية في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية فقط، والتي يتمثل أبرزها في الآتي:**
أولاً - الاتجاه المقارن؛

وهو الاتجاه الذي يتطلب إجراء مقارنات بين مجتمعات عديدة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في درجة ونوعية الثقافة والبناء الاجتماعي. **بمعنى آخر:** مقارنة الثقافات والمجتمعات الإنسانية المختلفة وما يحمله كل من هذه المجتمعات أو الثقافات من سمات أو أوجه تشابه أو اختلاف. فيحاول الأنثروبولوجي من خلال هذا الاتجاه البحثي الكشف عن سمات التشابه والاختلاف بين المجتمعات من خلال مقارنتها بهدف رسم استنتاج عام بخصوص المجتمع وما يحتويه من ثقافات متعددة.

ولقد أكد كل من الأنثروبولوجي الأمريكي (هويل) والأنثروبولوجي البريطاني (راد كليف براون) على ضرورة الأخذ بالمنهج المقارن في الدراسات الأنثروبولوجية، لأنه المنهج الذي يميز علم الأنثروبولوجيا عن بقية العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.

وقد بدأ استخدام هذا الاتجاه في إطار دراسات الأنثروبولوجيين للمجتمعات البدائية البسيطة لتحقيق هدفين:

الهدف الأول: هو عقد مقارنات بين مجموعة من المجتمعات البدائية البسيطة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بين أنظمتها الاجتماعية، وإظهار أثر البيئة الطبيعية والثقافية في تحديد مستويات التشابه والاختلاف في هذه المجتمعات.

الهدف الثاني: هو عقد المقارنات بين المجتمعات البدائية البسيطة من جهة، والمجتمعات المعقدة المتطورة من جهة أخرى، من أجل تقديم فهم علمي لعملية تطور الثقافة الإنسانية ونظمها الاجتماعية من الأشكال البدائية إلى الأشكال المعقدة.

وإذا كانت دراسة (سيلجمان) عن القبائل النيلية الوثنية في السودان تمثل الهدف الأول للدراسات الأنثروبولوجية عن المجتمعات البدائية، فإن كتاب ((المجتمع القديم)) للأنثروبولوجي (لويس مورغان) يمثل الهدف الثاني.

وفيما اختلفت أهداف استخدام المنهج المقارن عند الأنثروبولوجيين، إلا أن الغاية المرجوة من استخدام هذا المنهج هو تقديم تعميم أو نظرية عامة من شأنها أن تفسر لنا الثقافة الإنسانية وكيفية تطورها.

والجدير بالذكر أن المنهج المقارن في الدراسات الأنثروبولوجية يعتمد بشكل عام على أساس فكرة التواتر: أي تكرار حدوث الظواهر الاجتماعية المتشابهة في مجتمعات مختلفة، وهذا معناه أن هدف الأنثروبولوجيين هو التوصل إلى قوانين

وتعميمات نظرية (كما ذكر مسبقاً) من شأنها أن تشرح لنا سبب حدوث الظواهر الاجتماعية، وذلك لأن مجرد تكرار حدوث الظاهرة في مجتمعات مختلفة والتي لم تخضع للتواصل التاريخي، يفرض على العقل القول بأن وراء هذا التواتر قانوناً عاماً يحكم عملية تكوين هذه الظاهرة وتطورها.

ثانياً- الاتجاه الأثنوغرافي؛

يقوم هذا المنهج على تقديم وصف دقيق ومنظم للجماعات الإنسانية وثقافتها ونظمها الاجتماعية، بما فيها أنظمة المعتقدات والزواج والقرابة والاقتصاد والسياسة والأسرة...إلخ.

ويركز الباحث الأثنوغرافي في دراسته على وصف مجتمع محدد، حيث يقدم لنا معلومات مكثفة عن طبيعة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية. وهذا معناه أن الباحث الأثنوغرافي لا يهدف في دراسته إلى تقديم مقارنات فيما بين المجتمعات الإنسانية المختلفة لإظهار الأوجه المشتركة وغير المشتركة فيما بينها، بل يقدم وصفاً خاصاً بهذه المجتمعات والتي من الممكن أن يستخدمها ضمن إطارها المقارن.

ويعود تاريخ الدراسات الأثنوغرافية (الوصفية) إلى فترة ما قبل عصر الميلاد، فقد كان المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) هو أول من استخدم هذا المنهج في عام 500 ق.م، عندما درس قبائل روسيا ومجتمع مصر القديم، ثم تبعه بعد ذلك الشاعر اليوناني (لوقريطس) عام 550 ق.م، الذي قدم دراسة وصفية عن تطور الثقافة الإنسانية من حالتها البدائية حتى وصولها إلى حالة الارتقاء والتمدن.

كما يعد كتاب ((المقدمة)) للعلامة العربي (ابن خلدون) من أهم الدراسات الأثنوغرافية التي قدمت وصفاً علمياً ودقيقاً عن جماعات البدو وطبيعة نظمهم الاجتماعية وطرائق معيشتهم.

كذلك نذكر دراسة الرحالة (المسعودي) والتي ضمنها في كتاب عنوانه (مروج الذهب ومعدن الجواهر) ودراسة الرحالة (ابن بطوطة) التي ضمنها في كتاب ((تحفة الأنظار في عجائب الأسفار)).

وتعد هاتين الدراستين من أهم الدراسات الأثنوغرافية (الوصفية) التي منحتنا قدراً واسعاً من الفهم عن الثقافات الإنسانية المختلفة.

لقد شكلت هذه الدراسات الوصفية اللبنة الأولى في تكوين علم الأنثروبولوجيا، وقد استمر الأنثروبولوجيين في اعتماد المنهج الأثنوغرافي في دراساتهم حتى يومنا هذا.

وقد طور علماء الأنثروبولوجيا في مطلع القرن العشرين المنهج الأثنوغرافي وجعلوا له أساسيات لا بد من اتباعها عند إجراء الدراسات الأنثروبولوجية، ومن أهم هذه الأساسيات التي يقوم عليها المنهج الأثنوغرافي المعاصر هو أن تكون الدراسة قائمة على منهجية البحث الحقلي، والذي يقصد به شرط إقامة الباحث بين أفراد المجتمع المدروس لفترة زمنية محددة، ومعرفة لغة أفراد هذا المجتمع معرفة وافية، وتعود أهمية الإقامة ومعرفة لغة أفراد المجتمع المبحوث إلى أنه من غير الممكن تقديم وصفاً موضوعياً عن مجتمع الدراسة إن لم يكن الباحث قادراً على التواصل اللغوي مع أفراد هذا المجتمع، كما أن معرفة الباحث لطبيعة ثقافة المجتمع ونظمه الاجتماعية لا يمكن أن تتم من خلال المشاهدة العابرة، لهذا وجب على الباحث الأثنوغرافي الإقامة في المجتمع المدروس.

ونخلص مما سبق إلى أن الدراسة الأثنوغرافية تعتمد على الدراسة المركزة لمجتمع ما، لأنها تزود الباحث بكل العناصر الثقافية التي يقوم عليها مجتمع الدراسة.

ويعد الأنثروبولوجي البريطاني (راد كليف براون) من الرواد الأوائل الذين قاموا بدراسات حقلية أثنوغرافية وذلك من خلال دراسته لشعوب جزر

الاندمان (الواقعة في شمال المحيط الهادي) في الفترة ما بين 1906-1908.

أيضاً تعد دراسة (مالينوفسكي) عن شعوب جزر التروبرياندا (الواقعة شرق غينيا الجديدة) من أهم الدراسات الحقلية الأثنوغرافية. وقد قضى (مالينوفسكي) في دراسته هذه أربع سنوات (1914-1918)، حيث عايش التروبريانديين وعرف لغتهم المحلية معرفة تامة.

أيضاً من الدراسات الأنثروبولوجية الهامة التي طبقت هذا المنهج، دراسة (ايفانز برتشارد) لقبايل النوير السودانية في عام 1940، ودراسة (فورتيز) لقبايل التلاسي النيجيرية في عام 1945.

ولعل من أهم الصفات التي تتميز بها الدراسات الأثنوغرافية هو أنها تعتمد في وصفها على تقديم فهم شمولي/ كلي للمجتمع المدروس، فالعناصر الثقافية لا تدرس كل منها بمعزل عن الآخر، كما أن النظم الاجتماعية لا يمكن تفسير كل منها على حدة وبمعزل عن بقية النظم الأخرى. على العكس من ذلك نجد أن الثقافة بكافة عناصرها ونظمها الاجتماعية يتم دراستها دراسة متكاملة، وذلك بسبب ارتباط كل جزء منها بالآخر ارتباطاً وثيقاً. كما أن العلاقة بين الثقافة والمحيط البيئي (الايكولوجي) يجب أن تخضع للدراسة والتحليل، لأن الإنسان يؤثر ويتأثر ثقافياً بالمحيط الذي يعيش فيه. وتعتمد الدراسات الأثنوغرافية على عملية الملاحظة العلمية لثقافة وأنظمة المجتمع المدروس.

وللملاحظات الأثنوغرافية في الأنثروبولوجيا

نمطين أساسيين، هما:

1- **الملاحظة المباشرة:** تتم الملاحظة المباشرة عن طريق اندماج الباحث في المجتمع نفسه، حيث يقوم بمخالطة أفراد هذا المجتمع

ومجالستهم لكي يتعلم لغتهم ويتعرف على طبيعة حياتهم الاجتماعية وسلوكياتهم الثقافية. والحقيقة أن هذا النوع من الملاحظة يمنح الباحث القدرة الكافية على دراسة ثقافة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية، ومن ثم تقديم وصف علمي متكامل عن هذا المجتمع.

وقد اعتمد على الملاحظة المباشرة العديد من مؤسسي الأنثروبولوجيا، أمثال (راد كليف براون، بريتشارد، مالاينوفسكي، فرانز بواز، بندكيت، مارجريت ميد) وغيرهم من الأنثروبولوجيين الذين اعتمدوا على اندماجهم بالمجتمع المدروس واستخدام وسيلة الملاحظة المباشرة في دراساتهم.

2- الملاحظة غير المباشرة: تتم هذه الملاحظة من خلال الرجوع إلى مصادر أخرى للحصول على المعلومات الأثنوغرافية، وذلك عن طريق الاعتماد على آراء ومؤلفات العلماء والباحثين ممن سبق لهم إجراء دراسات مجتمعات إنسانية محددة، أو الاعتماد على ملاحظات ومشاهدات الغير من الرحالة والمسافرين. أي اعتماد الباحث على المصادر والوثائق والروايات التي تتعلق بموضوع الدراسة.

ومن الذين استخدموا وسيلة الملاحظة غير المباشرة، نذكر: (ادوارد تايلور ولويس هنري مورجان) اللذان قدما وصفاً أثنوغرافياً للمجتمعات المدروسة في مجلدات ضخمة من واقع ما حصلوا عليه من وثائق وسجلات وآراء ووثائق مكتوبة.

ثالثاً- الاتجاه التجريبي:

ظهر هذا الاتجاه كردة فعل على النظريات التي ظهرت بالقرن التاسع عشر، والتي صنفت الجماعات البشرية وفق تفرقة عنصرية بحتة. ففي تلك الفترة ظهرت العديد من الكتابات التي تقول بامتياز عرق على آخر أو صفاء جنس بشري على آخر، على سبيل المثال، هناك كتابات قالت بأن الجنس الأوربي الأبيض أكثر حضارة وذكاء من بقية الشعوب الأخرى.

وحتى يتم دحض هذه الآراء العنصرية، لجأ العديد من الأنثروبولوجيين إلى استخدام المنهج التجريبي، الذي يقوم على اختبارات علمية دقيقة للتحقق مما إذا كانت هناك فوارق جوهرية في الصفات العقلية والنفسية والمزاجية (وراثية أو مكتسبة) يمتاز بها جنس بشري عن جنس آخر. وقد انتهت هذه البحوث التجريبية إلى تأكيد أنه لا توجد أية فوارق في الذكاء أو المشاعر بين جنس وآخر، وأن الفروق وإن وجدت فهي ليست إلا انعكاسات للبيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها الإنسان، وهذا معناه أن هذه الفروقات لا تتصل مطلقاً بعوامل بيولوجية أو وراثية، إنما ترد إلى محددات اجتماعية وثقافية بيئية.

ومن أشهر الدراسات التجريبية في الأنثروبولوجيا هي الدراسة التي قامت بها عالمة (روث بندكت) والتي بينت ما يسمى بنسبية الأنماط الثقافية في المجتمعات البشرية، وتعلل (بندكت) هذه النسبية الثقافية بالدور الذي تلعبه البيئة الجغرافية والاجتماعية والأسرية في تشكيل سلوكيات الأفراد واختلاف هذه السلوكيات من مجتمع إلى آخر، ولكي تؤكد صحة ما توصلت إليه، قامت بدراسة قبيلتين (الزوني والكوكيوتل) من قبائل الهنود الحمر لمعرفة أنماط السلوك المتبعة عند هاتين القبيلتين، وفيما إذا كانتا تتشابهان أو تختلفان في تلك الأنماط السلوكية.

وقد توصلت (بندكت) في دراستها هذه إلى أنه بينما يتميز أفراد قبيلة الزوني بالهدوء والتآلف، فإن أفراد قبيلة الكوكيوتل يمتازون بالانعزالية والتطرف والتنافس.

وقد أرجعت (بندكت) هذه الفروق في أنماط السلوك لدى هاتين القبيلتين إلى التأثير بالنماذج الثقافية العامة المتبعة في كل قبيلة، واختلاف وسائل التربية تبعاً لاختلاف تلك المناهج.

والجدير بالذكر أن الاتجاه التجريبي ارتبط بشكل كبير بالاتجاه المقارن، فالمقارنة التجريبية كانت الأساس في هذه الاتجاه.

الأدوات (الوسائل) البحثية في مجال الأنثروبولوجيا

الثقافية

الأداة: تستلزم عملية جمع البيانات الميدانية من الباحث تحديد الأداة/ الأدوات المناسبة لجمع هذه البيانات، حيث بإمكان الباحث اعتماد أداة أو أكثر في عملية جمع البيانات الميدانية، ويتم تحديد هذه الأداة/ الأدوات المناسبة بناء على طبيعة الموضوع المدروس والبيانات المراد الحصول عليها.

ومن الأدوات البحثية التي تعتمد في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية، نذكر الآتي:

أولاً- الملاحظة بالمشاركة:

الملاحظة: من أساليب التقويم وجمع البيانات، حيث يمكن من خلال استخدامها - وفق الضوابط المحددة لها - الحصول على مجموعة من المعلومات والبيانات التي يصعب الحصول عليها من خلال استخدام أسلوب آخر . والملاحظة هي المشاهدة والمتابعة المرئية الدقيقة للسلوك أو الظاهرة أثناء الأداء الفعلي في المواقف الطبيعية، وتسجيل ما يراه الملاحظ وفق نظام دقيق ومحدد يُعبر عن السلوك أو الظاهرة المدروسة.

وللملاحظة أنواع نذكر منها:

- الملاحظة العفوية.
- الملاحظة العلمية.
- الملاحظة الحقلية.

- الملاحظة المخبرية.

- الملاحظة بالمشاركة.

- الملاحظة من دون مشاركة.

وفيما يتعلق بالملاحظة بالمشاركة فإن بداياتها تنسب إلى المفكر البولوني

Bronisław Kasper Malinowski

الذي اشتهر بتنظيم ممارسة الأنثروبولوجيا الميدانية انطلاقاً من قناعاته بأن عمل الأنثروبولوجي يجب أن يركز على الواقع المحلي للمجتمع المدروس و خصوصياته الثقافية بدل الاكتفاء بأعمال الرحالة والفلاسفة وغيرهم .

وتقتضي أداة الملاحظة بالمشاركة إقامة الباحث بين أفراد المجتمع المدروس ومعايشة حياتهم اليومية عن كثب، الأمر الذي يتطلب من الباحث تعلم لغة أفراد المجتمع المدروس لكي يتواصل معهم بسهولة ويسر ويتضح له عادات وتقاليد هذا المجتمع، وبذلك فقط يستطيع أن يجمع المعطيات عبر ملاحظة الممارسات بشكل مباشر.

وفي مسألة اللغة فقد قضى (مالينوفسكي) رائد العمل الحقل في مجال الأنثروبولوجيا ما يقارب من عام كامل لتعلم لغة المجتمع الذي أراد دراسته والتمثل بمجتمع ((جزر التبرياندا)).

ولعل هناك أسباب متعددة تدفع الباحث إلى استخدامه لأداة الملاحظة بالمشاركة والتي اعتمدت عليها الأنثروبولوجيا في بداية تاريخها. ومن هذه الأسباب نذكر الآتي:

■ تمكننا من جمع قدر كبير من البيانات والمعلومات عن عادات وتقاليد المجتمع، والتي لا يمكن الحصول عليها من خلال أدوات أخرى. أي تمكننا من فهم ثقافة المجتمع المدروس.

■ تسهم بشكل كبير من التخفيف من حدة التفاعل مع المبحوثين.

- تساعد على تصميم أدوات بحثية أخرى كالاستبانة والمقاييس.
- بينت لنا العديد من الدراسات انه تم كشف معلومات رئيسية وهامة عن حياة مجتمعات وطرق حياتهم من خلال استخدام أداة الملاحظة بالمشاركة. ولا بد من الإشارة إلى أنه يجب على الباحث أن يتجنب اتباع السلوكيات التي تعلمها في مجتمعه والتي قد تختلف عن سلوكيات أفراد المجتمع الذي يدرسه، كما عليه عدم انتقاد سلوكيات هؤلاء الأفراد أو محاولة تغيير عاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم بل لابد أن يقابلهم ويتحدث معهم وكأنه فرد منهم. كما على الباحث مشاركتهم حفلاتهم وطعامهم وارتداء ملابسهم وعدم الاستنكار مما قد يرى.
- وبقدر ما يستطيع الباحث أن يكتسب ثقة أفراد المجتمع الذي يدرسه، كلما كان قادراً على جمع المعلومات المهمة عن طبيعة ثقافة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية المتعددة.
- ومن أهم الإجراءات التي يجب على الباحث اتباعها أثناء تطبيق أداة الملاحظة بالمشاركة، هي عملية كتابة ((التقارير الفورية)) عن كل صغيرة وكبيرة تقابله في مجتمع الدراسة، سواء في أسلوب المعيشة أو نمط السلوك أو شكل الحكم أو ظواهر المعتقد أو الاقتصاد أو طريقة التفكير...إلخ. هذه التقارير الفورية تعكس الملاحظات اليومية للباحث والتي يراها في المجتمع المدروس.
- وتعود أهمية تدوين هذه الملاحظات اليومية إلى أنها تقودنا في النهاية إلى فهم هذا المجتمع فهماً شاملاً.

ثانياً- الإخباريين:

يمكن القول بأنها المقابلة غير الموجهة التي تتم مع ما يسمى بالإخباري الذي هو ذلك الشخص الذي يقوم بتزويد الباحث بالمعلومات المطلوبة عن المجتمع المدروس، ولديه من المعلومات التي يمكن أن تحقق هدف الدراسة

وتسهم في اتجاهها، حيث تتم أخذ المعلومات من الإخباري عن طريق المقابلة غير الموجهة في كثير من الأحيان.

أما بالنسبة لنوعية الإخباريين الذين يجب على الباحث أن يختارهم، فهم دائماً ما يكونون من ذوي المكانة الاجتماعية أو السياسية أو الدينية في المجتمع المدروس، كما يجب أن يكونوا من كبار السن، وهذا معناه أن يكون الإخباري من الأشخاص الذين يستفيد الباحث منهم في جمع المعلومات الهامة عن البناء الثقافي والاجتماعي لمجتمع الدراسة.

ووفقاً لهذه الأداة يتم اختيار الباحث لمجموعة من أفراد المجتمع المدروس وإجراء مقابلات مطولة معهم، ويقوم بتوجيه أسئلة متنوعة لهؤلاء الأفراد تاركاً الفرصة لهم ليقدموا الإجابة المسترسلة عن تلك الأسئلة، حيث لا يتدخل الباحث مطلقاً في توجيه إجابات الإخباريين، بمعنى آخر: لا يتدخل الباحث في توجيه إجاباتهم للغايات التي هو يبحث عنها.

فمثلاً قد يسأل الباحث أحد الإخباريين عن مفهوم الزواج بصورة عامة، ثم يترك للإخباري الاسترسال في الحديث عن الزواج ومفاهيمه وأهميته في المجتمع الذي ينتمي إليه.

ويمكن وصف المقابلة غير الموجهة للإخباريين على أنها نوع من الحديث العام عن الواهر الاجتماعية والسلوكيات العامة المتواجدة في المجتمع، إلا أن ميزة هذا الحديث العام بأنه لا يكون بين طرفين متساويين، بل إنه بين طرف يعرف ويفهم ما يدور في المجتمع (الإخباري)، وطرف محايد يحاول من خلال عملية السؤال والاستماع أن يفهم ما يدور في هذا المجتمع (الباحث).

ويجب على الباحث أن يكون على استعداد تام أثناء المقابلة لكي تتسنى له تسجيل وتدوين المعلومات التي يذكرها له الإخباري. ومن أهم الوسائل التي يتم استخدامها لتدوين تلك المعلومات هي آلة التسجيل والتي تضمن حفظ المعلومات التي تم الحصول عليها من الإخباري.

ثالثاً- المقابلة:

المقابلة هي محادثة تتم بين الباحث والمبحوث أو المبحوثين في زمان ومكان معينين، بهدف الحصول على المعلومات من خلال التبادل اللفظي الحاصل بين طرفي المقابلة، ومن خلال ملاحظات الباحث لانفعالات المبحوث وحركاته التعبيرية يمكن أن يستشف الباحث معطيات قد لا يفصح عنها المبحوث باستجابته اللفظية.

⬅️ والمقابلة أنواع نذكر منها:

- المقابلة الفردية.
- المقابلة الثنائية.
- المقابلة الجماعية.
- المقابلة الموجهة.
- المقابلة غير الموجهة...إلخ.

وقد تمت الإشارة مسبقاً إلى ان الباحث الأنثروبولوجي يعتمد على الإخباريين عن طريق مقابلتهم، ففي كثير من الأحيان يلجأ الباحث إلى استخدام أسلوب المقابلة مع أفراد المجتمع. وقد يستخدم الباحث الأنثروبولوجي أداة المقابلة الموجهة مع الإخباريين، كذلك قد يستخدم المقابلة غير الموجهة.

وإذا كانت المقابلة غير الموجهة هي الطريقة التي تتم تلقائياً بين الباحث وبعض أفراد المجتمع المبحوث الذين تترك لهم فرصة الإجابة المسترسلة على مختلف الأسئلة، فإن طريقة المقابلة الموجهة تتمثل في إعداد استمارة عبارة عن مجموعة من الأسئلة تتم صياغتها بدقة حول موضوع البحث المراد دراسته، بحيث تشتمل على الإجابات المحتملة بطريقة تسمح للمبحوث الإجابة عن الأسئلة بسرعة ووضوح، ثم تفرغ هذه الإجابات ضمن جداول.

وعلى الباحث أن يقرأ الأسئلة أمام الشخص المراد مقابلته ثم يسجل إجابته في الاستمارة، وينبغي أن تقرأ الأسئلة من قبل الباحث بطريقة محايدة بحيث لا

تؤثر على المستمع.

وتبرز أهمية المقابلة من حيث أنها قادرة على فحص التأثير الانفعالي للمبحوث كما ذكر أعلاه، والكشف عن تعبيراته وكذلك يمكن من خلالها أن تنشأ علاقة ود ومودة بين الباحث والمبحوث، بالإضافة إلى أنها قادرة على الكشف عن صدق المعلومات التي يمكن الحصول على من قبل المبحوث، ولاشك أن ذلك يرتبط بشكل كبير بمهارة الباحث وقدراته.

← وكنموذج للأسئلة التي يتم طرحها في المقابلة الموجهة نذكر

المثال الآتي:

لنفترض أن الباحث يريد أن يعرف طبيعة العلاقة بين الزوجين في المجتمع المدروس، من الممكن تحقيق هذا الهدف مثلاً من خلال طرح السؤال التالي: هل تشارك زوجتك في اتخاذ القرارات ، ويتم وضع عدة إجابات مثل: نعم لا أحياناً، ويترك للمبحوث حرية اختيار أحد هذه الاحتمالات. وهذا النمط من الأسئلة يسمى بالأسئلة المغلقة، لكن يمكن أن تتضمن المقابلة الموجهة النمط الثاني من الأسئلة وهو الأسئلة المفتوحة هي التي تسمح للمبحوث أن يتحدث ويعبر عن رأيه، مثل سؤاله عن رأيه في قضية ما أو اقتراحه في مسألة محددة وغيرها.

رابعاً- تاريخ الحياة:

كثيراً ما يستخدم الأنثروبولوجيين طريقة تاريخ الحياة أثناء دراستهم الميدانية بقصد جمع العديد من المعلومات الأثنوغرافية عن المجتمع المدروس. وهي عبار عن عرض للسيرة الذاتية وتاريخ الحياة.

وتقوم هذه الطريقة على اختيار الباحث لشخصية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية او دينية، ويطلب منه أن يقص عليه سيرة حياته وما صادفها من أحداث منذ الصغر وحتى تاريخ اللحظة التي يحادثه فيها. وغاية الباحث هنا ليست قصة حياة الفرد كما تروى، بل ما يهمه هنا هو استقرار العلاقة

الاجتماعية والأحداث التاريخية والعناصر الثقافية والمعتقدات الدينية التي تشكل المجتمع وتحدد تطوره.

⇐ وينقسم تاريخ الحياة إلى نوعين:

1- أوتوبيوغرافي: وهو الذي يعتمد على سرد المبحوث لسيرته الذاتية وحياته بنفسه دون تدخل الباحث.

2- البيوجرافي: وهنا يتدخل الباحث في توجيه مسار حديث المبحوث وتحديد مسار حياته بما يرتبط بموضوع بحثه وما يريد الباحث الوصول إليه.

وحتى يتمكن الباحث من التحقق من صحة المعلومات التي يذكرها شخص ما في سيرته الذاتية، فإن عليه أيضاً أن يعتمد على سير ذاتية لأشخاص آخرين، ومن ثم استخدام طريقة المقارنة فيما بين هذه السير الذاتية للوصول إلى معلومات لها صفة العمومية والموضوعية، حيث من خلال المقارنة يمكن تقديم وصف عام للثقافة، وتحديد المعلومات ومدى دقتها.

خامساً- استخدام الوثائق

كذلك يعتمد الباحث الأنثروبولوجي في بحثه على استخدام الوثائق بهدف الحصول على المعلومات التي يحتاجها.

⇐ وهناك نوعان من الوثائق، هما:

- الوثائق المكتوبة: التي تتوافر في المجتمعات التي تعرف الكتابة والقراءة.

- الوثائق الشفهية: وهي التي يتم تناقلها عن طريق القصص والأشعار الشفاهية، ويتم الاعتماد عليها في المجتمعات الأمية.

تعريف الثقافة وقوانينها وخصائصها

أولاً- تعريف الثقافة:

عرفها العالم الأنثروبولوجي أ . ي. تايلور في كتابه الثقافة البدائية:
إن الثقافة هي ذلك الكل الذي يشتمل المعرفة والعقائد والفن والقانون وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في الجماعة أو المجتمع.

ب- لينتون: شكل متكامل من السلوك المكتسب ينقلها أفراد مجتمع معين.

ج- أما الدكتور أنور عبد المالك قال بشأن تعريفها ما يلي: قل لي ما هي ثقافة الانسان أقول لك على الفور ماهي شخصيته.

- نلاحظ من هذا التعريف أن الثقافة تتكون من جانبين :

1- الجانب المادي الذي يتمثل في الصناعة ووسائل الإنتاج والاختراع وكل وسائل العيش والحياة.

2- الجانب السلوكي وفيه الجوانب الظاهرة مثل العادات والتقاليد والجوانب المستترة أو اللاواعية.

إن العلاقة بين الثقافة والانسان هي التي تحدد السلوك الانساني فكل عنصر ثقافي في حقيقته استجابة لحالة ما وتعتبر لمدارس الانثروبولوجيا أن هذا الاختلاف هو المحدد الاساسي في اختلاف الشخصيات القومية .

مثال: الزواج عنصر ثقافي وهو أيضا يمثل حاجة ما لكن هذه الاستجابة تختلف من مجتمع لآخر.

ثانياً- قوانين الثقافة:

1- قانون انتقال الثقافة من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل

2- قانون الانتشار الثقافي

3- قانون التخلي والاكْتساب

وفيما يلي شرح لكل قانون من القوانين أعلاه:

1- قانون انتقال الثقافة من الماضي إلى الحاضر إلى

المستقبل:

الثقافة: مجموعة من العناصر المادية والاجتماعية المشتركة بين الفرد وأسرته وجماعته ومجتمعه، والأجيال تقوم بنقل الثقافة بواسطة التعليم والتجربة والاكْتساب وعن طريق التراث الشفهي والمكتوب.

فالثقافة موجودة في سلوك الناس الاجتماعي، وتنتقل من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل بواسطة الأجيال، أي من الآباء للأبناء، ومن الأخوة الكبار إلى الصغار، وذلك عبر التعلم والتجربة والاكْتساب.

وهذا يعني أن هذا الانتقال يشكل قانونها الأساسي، ولولاه لما كان ثمة وحدة أو تشابه أو تماثل في الشخصية الاجتماعية للمجتمع سواء في الماضي أم في الحاضر. ولكن هناك أشكال من الانقطاع بين هذه الشخصيات تفقد فيها بعض علاقات القربى وعناصر من التراث المشترك...إلخ.

والجدير بالذكر أن الثقافة لا تنتقل على وتيرة واحدة، ومثال على ذلك: موضة اللباس وبعض آداب الضيافة والأكل والشرب والسهر...إلخ. لأن الثقافة كما يقول (رالف لنتون): ذات سياق متواصل، وأن المشاركة التي تبرر إدخال عنصر ما في شكل ثقافي متكامل تقرر بالنسبة إلى السياق الاجتماعي الثقافي المتواصل وليس بالنسبة إلى ما تكون عليه تلك الثقافة في وقت معين.

2- قانون الانتشار الثقافي:

إذا كانت الثقافة تحتل جانباً مهماً في قيام البناء الاجتماعي بمهامه، فإنها من أكثر الجوانب أهمية في استمرار المجتمعات وتطورها من طور إلى آخر.

وهذه العلاقة الجدلية بين المجتمع وثقافته هي التي تشكل شرط تطور الثقافة وتغير وظائفها وتبدلها، وهي المسؤولة أيضاً عن انتقال الثقافة من جيل إلى آخر، فالثقافة تتطور بالانتشار داخل البنى الاجتماعية، ومن بيئة اجتماعية داخلية إلى بنية اجتماعية في مجتمع آخر. وتأتي خاصية انتشار الثقافة من خلال طبيعة الإنسان الاجتماعية، وعن طريق حركة الثقافة يحصل الاحتكاك والتعلم والاكتساب، فالأديب الناشئ يحاكي الأديب الذي يتميز بأسلوب معين في الكتابة ويحاول أن يقلده...إلخ.

مما تقدم يتبين أن العناصر الثقافية في حالة انتقال وانتشار واستقرار وتبادل. وانتشار الثقافة يتم إما بشكل عفوي أو إرادي داخلي وخارجي. وثمة جهات تخطط لنشر ثقافتها في المجتمعات الأخرى، وهو ما يسمى عادة بالغزو الثقافي. والجدير بالذكر أن حركة الثقافة تختلف من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر. فإذا كانت الثقافة في المجتمعات الأقل تطوراً تمتاز بحركتها البطيئة وفق آليات محددة بسيطة وغير معقدة، فإن حركتها في المجتمعات الصناعية أكثر سرعة وحيوية، ولها آليات متنوعة بالغة التعقيد.

كما أن الثقافة في المجتمعات المتقدمة تخضع للتخطيط والضبط والتوجيه الذي يكفل لها القيام بمهامها التي يرمي إليها أصحاب القرار السياسي. وهذا يعني إجرائياً أن هناك ثقافات ((ملقية)) وثقافات ((متلقية))، والثقافة الأولى موجودة في المجتمعات الصناعية، أما الثانية فإنها من شأن المجتمعات الأقل نمواً، ومنها الدول العربية.

وقد يرتب على هذا التمايز أن المجتمعات الصناعية تملك الكثير من بنوك المعلومات ومن مخابر الثقافة، وهذه وتلك مربوطة بأجهزة المعلومات

والقنوات الفضائية. وقد وضعت هذه الآليات في خدمة الثقافة لنشرها هنا وهناك، واختراق العمليات الثقافية في المجتمعات الأخرى، ومنها النامية. فالعديد من الشخصيات القومية أصبحت تتصرف في جوانب من سلوكها اليومي على الطريقة الأوروبي-أمريكية (الأوربية الأمريكية)، تطرب على طريقتهم وتلبس حسب أزيائهم وتركب وسائل المواصلات حسب إنتاج ثقافتهم. وكم من قيمة أو وازع أو عادة وتقليد انتشرت من الثقافة الغربية إلى داخل الثقافة العربية، سواء كان الانتشار عفويًا أو مقصوداً، إذ أصبح من النادر أن تجد مجتمعاً من المجتمعات بعيداً عن تأثير الثقافة الغربية. بمعنى آخر: أصبحنا في عصر الاختراق الثقافي الغربي.

خلاصة القول: شهدنا مؤخراً صعود دور مراكز الأبحاث والدراسات التي تقود وتوجه انتشار الثقافات الأوروبي-أمريكية، الهادفة إلى تطويع شخصيات الشعوب في العالم الثالث لصالحها.

وبهذا الصدد كتب الشاعر البريطاني الأصل (ت. س. أليوت)... وكثيراً ما تتخذ القوة وسيلة لفرض ثقافة أجنبية على ثقافة أدنى، وهذه المشكلة لا يمكن حلها وهي تتخذ أشكالاً كثيرة. فثمة مشكلة تتصل بثقافة أدنى للمرة الأولى، وثمة مشكلة ثانية عندما تكون الثقافة الوطنية قد بدأت تتحلل فعلاً تحت تأثير الثقافة الأجنبية، وحيث يكون أبناء الوطن قد تشربوا من الثقافة الأجنبية فعلاً أكثر مما يمكنهم طرده في وقت من الأوقات لينضجوا في الخليط الثقافي الذي أوجدناه.

وبطبيعة الحال فإن الخليط إياه تتعدد مواده وتتنوع عناصره إلى حد يمكن السياسات الثقافية الغربية من احتواء شعوب العالم والهيمنة على تفكيرها.

3- قانون التخلي والاكْتساب: تميزت الثقافات قديماً وحديثاً بعمليات التخلي والاكْتساب، وكانت هذه العمليات محكومة دائماً وأبداً

بالظروف الحضارية لكل أمة. فكلما أحرزت الأمة تقدماً واستقلالاً حضارياً، تمكنت من القيام بعمليات التخلي والاكْتساب وفق نواحيها الداخلية وحسب حاجاتها وقدراتها. ويقترن عمق تلك العمليات بمستوى التحولات الاجتماعية التي تتم داخل البناء الاجتماعي. فكلما كانت التحولات متوازنة داخل البناء الاجتماعي بحيث تتم وفق حاجات المجتمع وتتوافق مع إمكانياته، كانت عمليات التخلي والاكْتساب متلائمة مع معطياتها الاجتماعية، متوازنة مع الأبعاد الاجتماعية والحضارية التي تذهب إليها التحولات الاجتماعية.

فإذا وصل المجتمع على سبيل المثال إلى مستوى من التطور يملي إلغاء بعض أشكال الملكية وإضافة أشكال جديدة، فإن الثقافة ستعمل على ابتكار عناصر ثقافية جديدة تواكب الملكية الجديدة وتتوافق معها. وهذه الإضافات الثقافية لا تقتصر على عنصر الملكية فقط بل تمتد إلى عناصر ثقافية كثيرة منها المادية والمعنوية ومنها الأخلاقي بشكل يتجانس فيه الإلغاء والاكْتساب مع تطور الأفكار ودرجة الوعي الاجتماعي الذي وصل إليه المجتمع ومع منظومة الأفكار التي تشكل فلسفة الثقافة.

ولابد من التأكيد على أن عملية الاتصال الثقافي لها تأثيرها المباشر على عمليات التخلي والاكْتساب، فعندما يتم الاتصال بين ثقافة تعتمد على طباعة الكتب على آلات الكترونية كوسائل للطباعة أكثر تطوراً من الآلات السابقة، وتقوم بإنتاج أعداد من النسخ لا توازيها فيها الوسائل القديمة المعتمدة في الطباعة التي تملكها أو تستخدمها ثقافة أخرى، فإن الثقافة التي لا تملك الآلة الجديدة سوف تلجأ تدريجياً إلى التخلي عن الآلات القديمة واكتساب الآلة الجديدة.

ولاشك هذا المثال يمكن جعله نموذجاً لعمليات ثقافية متباينة في مضمونها وكما يمكن تعميمه على العناصر الثقافية الأخرى مثل: الزي، وطرائق كتابة القصة، ووجبات الطعام، ووسائل الركوب، والترفيه...إلخ.

على هذا الأساس تقوم الثقافات بعمليات التخلي والاكتساب دون توقف، وهذه العمليات تشكل بالنسبة لثقافات العالم قانونها الذي يحكم الثقافة ويقودها.

وقد اعتبر العلم الأنثروبولوجي أن تجديد الثقافة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليات التخلي والاكتساب. كما أن تقويم الثقافة من حيث اعتبارها ثقافة غازية أو مغزوة، حيوية أو تقليدية يتم على أساس قدرة تلك العمليات في المحافظة على الهوية القومية وتطوير معالمها حسب حاجات العصر وتحدياته.

لكن لابد من الانتباه إلى أن الثقافات لا تتماثل أو تتشابه في عمليات التخلي والاكتساب، فالأمر يختلف من ثقافة إلى أخرى، وهناك ثقافات لها قدرة خاصة على التخلي والاكتساب لا تملكها ثقافات أخرى، هذا يعني أن عمليات الثقافة مرهونة بقدرات الثقافة المتعددة المستويات.

وتقسم الثقافات حسب القدرات إلى مستويين :

1- الثقافات الديناميكية: تتميز هذه الثقافات بقدرتها على الحركة والإبداع، ويحتل فيها الإنسان مكانة مرموقة منظمة ومحفوظة بجملة من القوانين والسنن التي لا تقبل أي تعد على حقوقه، وبالمقابل تلزمه بسلسلة من الواجبات التي يؤديها بكل طوعية. كما تتميز تلك الثقافات بقدرتها على توفير الردود وإشباع الحاجيات بشكل لا يقلق الإنسان ولا يدعه ملكاً للضرورات الطبيعية. كما تتوفر فيها التعددية السياسية والحريات الفكرية وحرية القول والعمل، كما تتميز بإمكاناتها في الاختراع والابتكار والإبداع.

2- الثقافات التقليدية: وهي الثقافات التي يتحكم فيها الجمود والتقليد وانعدام الحرية، حيث مكانة الإنسان منقوصة ومحفوظة بالمخاطر، كما يضعف فيها القانون وتكافؤ الفرص ويسيطر عليها نظام القيم

التقليدي المتخلف الذي لا يساير روح العصر. كما أنها تفتقر إلى القدرة على تلبية حاجات الناس المادية والفكرية والروحية، وتقل فيها فرص العمل كما تقل فيها فرص القدرة على الابتكار والاختراع والاجتهاد والتأويل.

وتشتهر تلك الثقافات بقدرتها على التلفيق والجمع العشوائي بين القديم والحديث مثل الجمع بين الثأر ودور الدولة في محاسبة المتهم أو الجاني، بين الحرية السياسية والاعتقال، بين حقوق المواطن وتعديات السلطة على هذه الحقوق، بين حرية القول والنشر وقانون الرقابة والمنع والمصادرة والاعتقال.

نخلص مما سبق: إن عمليات التخلي والاكْتساب في الثقافتين الديناميكية والتقليدية مختلفة في النوع والكيف ومختلفة في المستوى والأبعاد، بحيث نرى أن الثقافتين تنتج عمليات التخلي والاكْتساب بناءً على سننها وقوانينها الاجتماعية بالتلازم مع قوانين الثقافة.

بينما تخضع تلك العمليات في الثقافات التقليدية إلى تأثير الثقافات الديناميكية، حيث تتدخل هذه الأخيرة في قانون التخلي والاكْتساب وتعديل مساره في ترك هذا العنصر واكتساب عنصر آخر يتوافق مع مصالحها. وتصبح عمليات التخلي والاكْتساب من صنع القافة الديناميكية لأنها تظل في حالة غزو دائم للثقافات التقليدية.

وأخيراً فإن عمليات التخلي والاكْتساب تتأثر بقانون الانتشار الثقافي الذي يتم بناءً على أسلوبين، هما:

1- الأسلوب العفوي الاختياري: الذي يؤدي إلى انتقال العناصر الثقافية عن طريق الاحتكاك والاتصال والحوار الثقافي.

2- الأسلوب الإجباري: الذي يؤدي إلى انتقال العناصر الثقافية إما بسبب الحاجة أو بالضغط والإكراه القسري.

ثالثاً- خصائص الثقافة:

لكل مجتمع بشري ثقافة خاصة به تميزه عن باقي المجتمعات، وقد يحدث أن يوجد تشابه قوي بين مجتمعين لقوة الاتصال بينهما تشابه المراحل التاريخية والبيئة الجغرافية.

وبرغم التباين الضخم بين ثقافات الإنسان سواء كانت بدائية أو قروية أو تجارية أو صناعية فإنه يمكن التحدث عن خصائص عامة للثقافة تشترك فيها جميع الثقافات. وفيما يلي عرض موجز لتلك الخصائص:

1- الثقافة إنسانية: الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي منحه الخالق جهازاً عصبياً خاصاً وقدرات عقلية فريدة تتيح له إمكانية ابتكار أفكار وأعمال جديدة، ويتميز ذلك الجهاز العصبي كذلك بقدرة فائقة على تغيير السلوك البشري من وقت لآخر للتكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية الجديدة دون الحاجة إلى ضرورة حدوث تغيرات عضوية، فمثلاً انتقل الإنسان العقل من المناطق الدافئة إلى مناطق باردة جداً وتكيف معها عن طريق اختراع الملابس المصنوعة من الصوف والفراء وكذلك عن طريق اختراع بناء المسكن في داخل الثلوج واستخدام شحوم الحيوانات للتدفئة.

والثقافة هي عبارة عن أفكار يخترعها العقل البشري وينفذها الإنسان بأعضائه وبغيرها من الأدوات والآلات التي يصنعها في سبيل إشباع حاجات الإنسان والتكيف مع البيئة.

مثال على ذلك: عند انتقال الإنسان من مناطق دافئة إلى مناطق باردة فهو يقوم بالتكيف مع هذه البيئة من خلال اللباس والمسكن.

2- الثقافة مكتسبة:

عن طريق التعلم أو التجربة أو التراث الشفهي أو عن طريق الخبرة الشخصية.

مثال: عند وضع طفل من أصل أجنبي في بلد عربي فإنه يتكلم اللغة العربية.

3- الثقافة أفكار وأعمال:

النظم العائلية والعادات والتقاليد إذا حللنا تلك العلاقات الاجتماعية نجد أنها ترجع في النهاية إلى تصرفات إنسانية أي إلى أفكار وأعمال وذلك في سبيل الحاجات الإنسانية أو البشرية.

4- الثقافة كل أو نسيج متداخل:

تتكون من كل متداخل العناصر والقطاعات، ولا يستطيع أصحاب الثقافة الكشف عن هذا التداخل والتساند بين أجزاء الثقافة، وإنما يكشف ذلك التداخل الأنثروبولوجي بعد فترة من التدريب الميداني تلى دراسته الجامعية، ويفضل الأنثروبولوجيون دراسة ثقافة مجتمع لا ينتمون إليه، وذلك لصعوبة تحقيق النظرة الكلية الموضوعية اللازمة لدراسة الثقافة إذا كان الأنثروبولوجي يدرس ثقافته.

الثقافة مجموعة من العناصر والنظم مرتبطة مع بعضها البعض كل منها يؤثر في الآخر .

مثال: عنصر الدين أحد عناصر الثقافة يؤثر بالعناصر الأخرى مثل النظم العائلية- حياة العرب الاقتصادية من عادات المأكل والملبس.

5- الثقافة اجتماعية:

من صنع المجتمع وليس من صنع الأفراد وتختلف النظم الثقافية في مدى شمولها أي أنه يمكن أن تطبق على جميع أفراد المجتمع أو على جماعة معينة داخل المجتمع.

ويمكن تقسيم النظم الثقافية على أساس مدى شمولها إلى ثلاثة أنواع:

(أ) العموميات: وهي النظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع، ومن أمثلة ذلك اللغة في المجتمعات البدائية خاصة ونظام الضبط الاجتماعي.

(ب) البدائل: وهي مجموعة من النظم والعناصر الثقافية التي تطبق في موقف معين ولل فرد الحرية في اختيار أحدها وترك الباقي، ومن أمثلة ذلك بعض نظم الزواج في الثقافة الإسلامية فالمسلم يستطيع أن يتزوج بنت عمه أو بنت عمته أو بنت خاله أو بنت خالته أو من غير قريباته وحتى يستطيع أن يتزوج فتاة لا تدين بالإسلام وإنما المسيحية أو اليهودية. وعلى الرغم من وجود هذه الحرية إلا أنه يوجد قيود مثل حق المسلم في الزواج أنه لا يستطيع أن يتزوج من فتاة وثنية مثلاً.

(ج) الخصوصيات: يشتمل كل مجتمع على تقسيمات فرعية في داخله، وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت ثقافته وزادت درجة التخصص بين أعضائه، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها.

مثال ذلك:

جماعة الأطباء تستخدم المصطلحات الأجنبية بينما جماعة العمال لا تستخدم هذه المصطلحات في أحاديثها.

6- الثقافة متنوعة المضمون:

تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة في معظم الأحيان، وقد يصل هذا الاختلاف إلى درجة التناقض في بعض الأحيان. مثال ذلك: العلاقات الجنسية تتيحها بعض المجتمعات قبل الزواج ومجتمعات أخرى بعد الزواج.

7- الثقافة متشابهة الشكل: تبين الأمثلة السابقة أن الثقافات متنوعة ومختلفة في مضمون وفحوى نظمها، ولكن إذا نظرنا إلى الإطار الخارجي أو الشكلي لتلك النظم نلاحظ تشابهاً واضحاً في جميع الثقافات.

مثال ذلك: الزواج يختلف من مجتمع لآخر حتى ضمن المجتمع الواحد يوجد اختلاف لكن على الرغم من الاختلاف يوجد تشابه في الشكل ولإطار الخارجي حيث يتفق في بعض المفاهيم (زفاف- خطبة).

8- الثقافة متغيرة ومتصلة: تتغير ثقافات المجتمعات من وقت إلى آخر، هذا التغير يكون بمعدلات، فقد يسير التغير ببطء مثل المجتمعات البدائية، وهناك المجتمعات الصناعية التي تتغير بسرعة كبيرة وذلك لتوافر الحوافز للاختراع ولقوة التفاعل الاجتماعي.

ويوجد نوع ثالث من الثقافات التي تتغير بمعدل معتدل ويضح ذلك في الثقافات الزراعية في أفريقيا وآسيا وأوروبا. والثقافة في غيرها لا تقفز في حلقات منفصلة الأجزاء وإنما يتم هذا التغير في التراث الثقافي المتصل الأجزاء، لا يتم الجزء دون الآخر لأن الثقافة كل نسيج متداخل، تموت الثقافة وتنتهي بشكل تام بموت أو انقراض المجتمع إما عن طريق الغزو بأن يغزو مجتمع آخر ذو ثقافة جديدة ويفرض الثقافة الجديدة بالقوة وتموت الثقافة الواحدة.

الاتجاهات البحثية (المناهج) في مجال الأنثروبولوجيا

الثقافية

منهج البحث: هو الطريقة العلمية المنظمة التي يعتمد عليها الباحث عند دراسته لظاهرة أو موضوع ما، وهي التي تساعد الباحث لاحقاً في الوصول إلى تعميمات نظرية وقوانين عن الظاهرة المدروسة. ولا يمكن

لأي دراسة علمية أن تقوم دون وجود منهج يحدد مسارها ويظهر تساؤلاتها وفروضها، وطرق التحقق من صحة هذه الفروض والإجابة على التساؤلات.

وبذلك يعد منهج البحث الركيزة أو العمود الفقري في أي دراسة علمية. وقد كانت البدايات الأولى لدراسة الثقافات الإنسانية على يد الأنثروبولوجيين وذلك عند دراستهم للمجتمعات البدائية وما قبل الكتابية، حيث تم التركيز على هذه المجتمعات من خلال دراسات شمولية للأنظمة الاجتماعية. وقد تم تطوير مناهج بحثية ارتبطت بالأنثروبولوجيين، كما تم ابتكار أدوات منهجية استطاع من خلالها الباحثين تحليل الثقافة الإنسانية وعناصرها ومحتواها في المجتمعات، حيث كشفت العديد من هذه الدراسات على جوانب دقيقة من حياة الأفراد داخل المجتمع المدروس.

إذاً بدايات الأنثروبولوجيا انطلقت بكونها علم بالتركيز على المجتمعات البدائية والبسيطة والقبلية، وخرجت لاحقاً من هذا الإطار وقامت بالتركيز على دراسة المجتمعات الحديثة والصناعية المتطورة، وأخذت اتجاهاً نظرياً ونهجاً متسعاً ومختلفاً، فلم تعد تهتم فقط بدراسة الثقافات البدائية، بل اتجهت نحو المدنية والمجتمع المعقد وذلك لأسباب متعددة:

قد يكون أولها أن العديد من هذه المجتمعات البسيطة قد اندمجت مع المدينة في كثير من حالاتها، إضافة إلى أن المجتمعات البدائية قد أشبعت دراسة، حيث لم يكن هناك أياً من هذه المجتمعات لم تقوم الأنثروبولوجيا بدراسته، وبالتالي اتجهت الأنثروبولوجيا إلى دراسة المجتمعات الحديثة والمتقدمة والمعقدة.

إن هذا الاتجاه الحديث في دراسة المجتمعات المعاصرة جعل من الأنثروبولوجيا أيضاً تستخدم وسائل وأدوات منهجية مختلفة. فقد طورت

الأنثروبولوجيا من مناهجها البحثية واعتمدت على طرق وأدوات منهجية بحثة من تخصصات أخرى وذلك بحكم كونها أكثر التخصصات شمولية في دراسة الإنسان، وكذلك من أكثرها صلة بالعلوم الأخرى. وقد طورت الأنثروبولوجيا أيضاً أساليبها الحثية بما يتوافق مع تخصصاتها المختلفة والتي تميز كل فرع من فروعها بأطر وأساليب منهجية محددة. فالأنثروبولوجيا كبقية العلوم الأخرى تتميز بمناهج بحث خاصة فيها، وتتعدد هذه المناهج وتختلف أنواعها بسبب تعدد فروع الدراسات الأنثروبولوجية.

فالأنثروبولوجيا تحتوي على دراسة التطور البيولوجي والفيزيقي من ناحية، وعلى دراسة تطور الجوانب المادية وغير المادية للثقافة الإنسانية من ناحية أخرى. وكذلك تركز في جانب آخر على الثقافة الإنسانية في محيطها الاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى بروز العديد من مناهج البحث الأنثروبولوجية.

← **وسيتم التركيز في هذه المحاضرة على الاتجاهات البحثية في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية فقط، والتي يتمثل أبرزها في الآتي:**
أولاً - الاتجاه المقارن؛

وهو الاتجاه الذي يتطلب إجراء مقارنات بين مجتمعات عديدة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في درجة ونوعية الثقافة والبناء الاجتماعي. **بمعنى آخر:** مقارنة الثقافات والمجتمعات الإنسانية المختلفة وما يحمله كل من هذه المجتمعات أو الثقافات من سمات أو أوجه تشابه أو اختلاف. فيحاول الأنثروبولوجي من خلال هذا الاتجاه البحثي الكشف عن سمات التشابه والاختلاف بين المجتمعات من خلال مقارنتها بهدف رسم استنتاج عام بخصوص المجتمع وما يحتويه من ثقافات متعددة.

ولقد أكد كل من الأنثروبولوجي الأمريكي (هويل) والأنثروبولوجي البريطاني (راد كليف براون) على ضرورة الأخذ بالمنهج المقارن في الدراسات الأنثروبولوجية، لأنه المنهج الذي يميز علم الأنثروبولوجيا عن بقية العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.

وقد بدأ استخدام هذا الاتجاه في إطار دراسات الأنثروبولوجيين للمجتمعات البدائية البسيطة لتحقيق هدفين:

الهدف الأول: هو عقد مقارنات بين مجموعة من المجتمعات البدائية البسيطة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بين أنظمتها الاجتماعية، وإظهار أثر البيئة الطبيعية والثقافية في تحديد مستويات التشابه والاختلاف في هذه المجتمعات.

الهدف الثاني: هو عقد المقارنات بين المجتمعات البدائية البسيطة من جهة، والمجتمعات المعقدة المتطورة من جهة أخرى، من أجل تقديم فهم علمي لعملية تطور الثقافة الإنسانية ونظمها الاجتماعية من الأشكال البدائية إلى الأشكال المعقدة.

وإذا كانت دراسة (سيلجمان) عن القبائل النيلية الوثنية في السودان تمثل الهدف الأول للدراسات الأنثروبولوجية عن المجتمعات البدائية، فإن كتاب ((المجتمع القديم)) للأنثروبولوجي (لويس مورغان) يمثل الهدف الثاني.

وفيما اختلفت أهداف استخدام المنهج المقارن عند الأنثروبولوجيين، إلا أن الغاية المرجوة من استخدام هذا المنهج هو تقديم تعميم أو نظرية عامة من شأنها أن تفسر لنا الثقافة الإنسانية وكيفية تطورها.

والجدير بالذكر أن المنهج المقارن في الدراسات الأنثروبولوجية يعتمد بشكل عام على أساس فكرة التواتر: أي تكرار حدوث الظواهر الاجتماعية المتشابهة في مجتمعات مختلفة، وهذا معناه أن هدف الأنثروبولوجيين هو التوصل إلى قوانين

وتعميمات نظرية (كما ذكر مسبقاً) من شأنها أن تشرح لنا سبب حدوث الظواهر الاجتماعية، وذلك لأن مجرد تكرار حدوث الظاهرة في مجتمعات مختلفة والتي لم تخضع للتواصل التاريخي، يفرض على العقل القول بأن وراء هذا التواتر قانوناً عاماً يحكم عملية تكوين هذه الظاهرة وتطورها.

ثانياً - الاتجاه الأثنوغرافي؛

يقوم هذا المنهج على تقديم وصف دقيق ومنظم للجماعات الإنسانية وثقافتها ونظمها الاجتماعية، بما فيها أنظمة المعتقدات والزواج والقرابة والاقتصاد والسياسة والأسرة...إلخ.

ويركز الباحث الأثنوغرافي في دراسته على وصف مجتمع محدد، حيث يقدم لنا معلومات مكثفة عن طبيعة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية. وهذا معناه أن الباحث الأثنوغرافي لا يهدف في دراسته إلى تقديم مقارنات فيما بين المجتمعات الإنسانية المختلفة لإظهار الأوجه المشتركة وغير المشتركة فيما بينها، بل يقدم وصفاً خاصاً بهذه المجتمعات والتي من الممكن أن يستخدمها ضمن إطارها المقارن.

ويعود تاريخ الدراسات الأثنوغرافية (الوصفية) إلى فترة ما قبل عصر الميلاد، فقد كان المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) هو أول من استخدم هذا المنهج في عام 500 ق.م، عندما درس قبائل روسيا ومجتمع مصر القديم، ثم تبعه بعد ذلك الشاعر اليوناني (لوقريطس) عام 550 ق.م، الذي قدم دراسة وصفية عن تطور الثقافة الإنسانية من حالتها البدائية حتى وصولها إلى حالة الارتقاء والتمدن.

كما يعد كتاب ((المقدمة)) للعلامة العربي (ابن خلدون) من أهم الدراسات الأثنوغرافية التي قدمت وصفاً علمياً ودقيقاً عن جماعات البدو وطبيعة نظمهم الاجتماعية وطرائق معيشتهم.

كذلك نذكر دراسة الرحالة (المسعودي) والتي ضمنها في كتاب عنوانه (مروج الذهب ومعدن الجواهر) ودراسة الرحالة (ابن بطوطة) التي ضمنها في كتاب ((تحفة الأنظار في عجائب الأسفار)).

وتعد هاتين الدراستين من أهم الدراسات الأثنوغرافية (الوصفية) التي منحتنا قدراً واسعاً من الفهم عن الثقافات الإنسانية المختلفة.

لقد شكلت هذه الدراسات الوصفية اللبنة الأولى في تكوين علم الأنثروبولوجيا، وقد استمر الأنثروبولوجيين في اعتماد المنهج الأثنوغرافي في دراساتهم حتى يومنا هذا.

وقد طور علماء الأنثروبولوجيا في مطلع القرن العشرين المنهج الأثنوغرافي وجعلوا له أساسيات لا بد من اتباعها عند إجراء الدراسات الأنثروبولوجية، ومن أهم هذه الأساسيات التي يقوم عليها المنهج الأثنوغرافي المعاصر هو أن تكون الدراسة قائمة على منهجية البحث الحقلي، والذي يقصد به شرط إقامة الباحث بين أفراد المجتمع المدروس لفترة زمنية محددة، ومعرفة لغة أفراد هذا المجتمع معرفة وافية، وتعود أهمية الإقامة ومعرفة لغة أفراد المجتمع المبحوث إلى أنه من غير الممكن تقديم وصفاً موضوعياً عن مجتمع الدراسة إن لم يكن الباحث قادراً على التواصل اللغوي مع أفراد هذا المجتمع، كما أن معرفة الباحث لطبيعة ثقافة المجتمع ونظمه الاجتماعية لا يمكن أن تتم من خلال المشاهدة العابرة، لهذا وجب على الباحث الأثنوغرافي الإقامة في المجتمع المدروس.

ونخلص مما سبق إلى أن الدراسة الأثنوغرافية تعتمد على الدراسة المركزة لمجتمع ما، لأنها تزود الباحث بكل العناصر الثقافية التي يقوم عليها مجتمع الدراسة.

ويعد الأنثروبولوجي البريطاني (راد كليف براون) من الرواد الأوائل الذين قاموا بدراسات حقلية أثنوغرافية وذلك من خلال دراسته لشعوب جزر

الاندمان (الواقعة في شمال المحيط الهادي) في الفترة ما بين 1906-1908.

أيضاً تعد دراسة (مالينوفسكي) عن شعوب جزر التروبرياندا (الواقعة شرق غينيا الجديدة) من أهم الدراسات الحقلية الأثنوغرافية. وقد قضى (مالينوفسكي) في دراسته هذه أربع سنوات (1914-1918)، حيث عايش التروبريانديين وعرف لغتهم المحلية معرفة تامة.

أيضاً من الدراسات الأنثروبولوجية الهامة التي طبقت هذا المنهج، دراسة (ايفانز برتشارد) لقبايل النوير السودانية في عام 1940، ودراسة (فورتيز) لقبايل التلاسي النيجيرية في عام 1945.

ولعل من أهم الصفات التي تتميز بها الدراسات الأثنوغرافية هو أنها تعتمد في وصفها على تقديم فهم شمولي/ كلي للمجتمع المدروس، فالعناصر الثقافية لا تدرس كل منها بمعزل عن الآخر، كما أن النظم الاجتماعية لا يمكن تفسير كل منها على حدة وبمعزل عن بقية النظم الأخرى. على العكس من ذلك نجد أن الثقافة بكافة عناصرها ونظمها الاجتماعية يتم دراستها دراسة متكاملة، وذلك بسبب ارتباط كل جزء منها بالآخر ارتباطاً وثيقاً. كما أن العلاقة بين الثقافة والمحيط البيئي (الايكولوجي) يجب أن تخضع للدراسة والتحليل، لأن الإنسان يؤثر ويتأثر ثقافياً بالمحيط الذي يعيش فيه. وتعتمد الدراسات الأثنوغرافية على عملية الملاحظة العلمية لثقافة وأنظمة المجتمع المدروس.

وللملاحظات الأثنوغرافية في الأنثروبولوجيا

نمطين أساسيين، هما:

1- **الملاحظة المباشرة:** تتم الملاحظة المباشرة عن طريق اندماج الباحث في المجتمع نفسه، حيث يقوم بمخالطة أفراد هذا المجتمع

ومجالستهم لكي يتعلم لغتهم ويتعرف على طبيعة حياتهم الاجتماعية وسلوكياتهم الثقافية. والحقيقة أن هذا النوع من الملاحظة يمنح الباحث القدرة الكافية على دراسة ثقافة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية، ومن ثم تقديم وصف علمي متكامل عن هذا المجتمع.

وقد اعتمد على الملاحظة المباشرة العديد من مؤسسي الأنثروبولوجيا، أمثال (راد كليف براون، بريتشارد، مالاينوفسكي، فرانز بواز، بندكيت، مارجريت ميد) وغيرهم من الأنثروبولوجيين الذين اعتمدوا على اندماجهم بالمجتمع المدروس واستخدام وسيلة الملاحظة المباشرة في دراساتهم.

2- الملاحظة غير المباشرة: تتم هذه الملاحظة من خلال الرجوع إلى مصادر أخرى للحصول على المعلومات الأثنوغرافية، وذلك عن طريق الاعتماد على آراء ومؤلفات العلماء والباحثين ممن سبق لهم إجراء دراسات مجتمعات إنسانية محددة، أو الاعتماد على ملاحظات ومشاهدات الغير من الرحالة والمسافرين. أي اعتماد الباحث على المصادر والوثائق والروايات التي تتعلق بموضوع الدراسة.

ومن الذين استخدموا وسيلة الملاحظة غير المباشرة، نذكر: (ادوارد تايلور ولويس هنري مورجان) اللذان قدما وصفاً أثنوغرافياً للمجتمعات المدروسة في مجلدات ضخمة من واقع ما حصلوا عليه من وثائق وسجلات وآراء ووثائق مكتوبة.

ثالثاً- الاتجاه التجريبي:

ظهر هذا الاتجاه كردة فعل على النظريات التي ظهرت بالقرن التاسع عشر، والتي صنفت الجماعات البشرية وفق تفرقة عنصرية بحتة. ففي تلك الفترة ظهرت العديد من الكتابات التي تقول بامتياز عرق على آخر أو صفاء جنس بشري على آخر، على سبيل المثال، هناك كتابات قالت بأن الجنس الأوربي الأبيض أكثر حضارة وذكاء من بقية الشعوب الأخرى.

وحتى يتم دحض هذه الآراء العنصرية، لجأ العديد من الأنثروبولوجيين إلى استخدام المنهج التجريبي، الذي يقوم على اختبارات علمية دقيقة للتحقق مما إذا كانت هناك فوارق جوهرية في الصفات العقلية والنفسية والمزاجية (وراثية أو مكتسبة) يمتاز بها جنس بشري عن جنس آخر. وقد انتهت هذه البحوث التجريبية إلى تأكيد أنه لا توجد أية فوارق في الذكاء أو المشاعر بين جنس وآخر، وأن الفروق وإن وجدت فهي ليست إلا انعكاسات للبيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها الإنسان، وهذا معناه أن هذه الفروقات لا تتصل مطلقاً بعوامل بيولوجية أو وراثية، إنما ترد إلى محددات اجتماعية وثقافية بيئية.

ومن أشهر الدراسات التجريبية في الأنثروبولوجيا هي الدراسة التي قامت بها عالمة (روث بندكت) والتي بينت ما يسمى بنسبية الأنماط الثقافية في المجتمعات البشرية، وتعلل (بندكت) هذه النسبية الثقافية بالدور الذي تلعبه البيئة الجغرافية والاجتماعية والأسرية في تشكيل سلوكيات الأفراد واختلاف هذه السلوكيات من مجتمع إلى آخر، ولكي تؤكد صحة ما توصلت إليه، قامت بدراسة قبيلتين (الزوني والكوكيوتل) من قبائل الهنود الحمر لمعرفة أنماط السلوك المتبعة عند هاتين القبيلتين، وفيما إذا كانتا تتشابهان أو تختلفان في تلك الأنماط السلوكية.

وقد توصلت (بندكت) في دراستها هذه إلى أنه بينما يتميز أفراد قبيلة الزوني بالهدوء والتآلف، فإن أفراد قبيلة الكوكيوتل يمتازون بالانعزالية والتطرف والتنافس.

وقد أرجعت (بندكت) هذه الفروق في أنماط السلوك لدى هاتين القبيلتين إلى التأثير بالنماذج الثقافية العامة المتبعة في كل قبيلة، واختلاف وسائل التربية تبعاً لاختلاف تلك المناهج.

والجدير بالذكر أن الاتجاه التجريبي ارتبط بشكل كبير بالاتجاه المقارن، فالمقارنة التجريبية كانت الأساس في هذه الاتجاه.

الأدوات (الوسائل) البحثية في مجال الأنثروبولوجيا

الثقافية

الأداة: تستلزم عملية جمع البيانات الميدانية من الباحث تحديد الأداة/ الأدوات المناسبة لجمع هذه البيانات، حيث بإمكان الباحث اعتماد أداة أو أكثر في عملية جمع البيانات الميدانية، ويتم تحديد هذه الأداة/ الأدوات المناسبة بناء على طبيعة الموضوع المدروس والبيانات المراد الحصول عليها.

ومن الأدوات البحثية التي تعتمد في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية، نذكر الآتي:

أولاً- الملاحظة بالمشاركة:

الملاحظة: من أساليب التقويم وجمع البيانات، حيث يمكن من خلال استخدامها - وفق الضوابط المحددة لها - الحصول على مجموعة من المعلومات والبيانات التي يصعب الحصول عليها من خلال استخدام أسلوب آخر . والملاحظة هي المشاهدة والمتابعة المرئية الدقيقة للسلوك أو الظاهرة أثناء الأداء الفعلي في المواقف الطبيعية، وتسجيل ما يراه الملاحظ وفق نظام دقيق ومحدد يُعبر عن السلوك أو الظاهرة المدروسة.

وللملاحظة أنواع نذكر منها:

- الملاحظة العفوية.
- الملاحظة العلمية.
- الملاحظة الحقلية.

- الملاحظة المخبرية.

- الملاحظة بالمشاركة.

- الملاحظة من دون مشاركة.

وفيما يتعلق بالملاحظة بالمشاركة فإن بداياتها تنسب إلى المفكر البولوني

Bronisław Kasper Malinowski

الذي اشتهر بتنظيم ممارسة الأنثروبولوجيا الميدانية انطلاقاً من قناعاته بأن عمل الأنثروبولوجي يجب أن يركز على الواقع المحلي للمجتمع المدروس و خصوصياته الثقافية بدل الاكتفاء بأعمال الرحالة والفلاسفة وغيرهم .

وتقتضي أداة الملاحظة بالمشاركة إقامة الباحث بين أفراد المجتمع المدروس ومعايشة حياتهم اليومية عن كثب، الأمر الذي يتطلب من الباحث تعلم لغة أفراد المجتمع المدروس لكي يتواصل معهم بسهولة ويسر ويتضح له عادات وتقاليد هذا المجتمع، وبذلك فقط يستطيع أن يجمع المعطيات عبر ملاحظة الممارسات بشكل مباشر.

وفي مسألة اللغة فقد قضى (مالينوفسكي) رائد العمل الحقل في مجال الأنثروبولوجيا ما يقارب من عام كامل لتعلم لغة المجتمع الذي أراد دراسته والتمثل بمجتمع ((جزر التبرياندا)).

ولعل هناك أسباب متعددة تدفع الباحث إلى استخدامه لأداة الملاحظة بالمشاركة والتي اعتمدت عليها الأنثروبولوجيا في بداية تاريخها. ومن هذه الأسباب نذكر الآتي:

■ تمكننا من جمع قدر كبير من البيانات والمعلومات عن عادات وتقاليد المجتمع، والتي لا يمكن الحصول عليها من خلال أدوات أخرى. أي تمكننا من فهم ثقافة المجتمع المدروس.

■ تسهم بشكل كبير من التخفيف من حدة التفاعل مع المبحوثين.

- تساعد على تصميم أدوات بحثية أخرى كالاستبانة والمقاييس.
- بينت لنا العديد من الدراسات انه تم كشف معلومات رئيسية وهامة عن حياة مجتمعات وطرق حياتهم من خلال استخدام أداة الملاحظة بالمشاركة. ولا بد من الإشارة إلى أنه يجب على الباحث أن يتجنب اتباع السلوكيات التي تعلمها في مجتمعه والتي قد تختلف عن سلوكيات أفراد المجتمع الذي يدرسه، كما عليه عدم انتقاد سلوكيات هؤلاء الأفراد أو محاولة تغيير عاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم بل لابد أن يقابلهم ويتحدث معهم وكأنه فرد منهم. كما على الباحث مشاركتهم حفلاتهم وطعامهم وارتداء ملابسهم وعدم الاستنكار مما قد يرى.
- وبقدر ما يستطيع الباحث أن يكتسب ثقة أفراد المجتمع الذي يدرسه، كلما كان قادراً على جمع المعلومات المهمة عن طبيعة ثقافة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية المتعددة.
- ومن أهم الإجراءات التي يجب على الباحث اتباعها أثناء تطبيق أداة الملاحظة بالمشاركة، هي عملية كتابة ((التقارير الفورية)) عن كل صغيرة وكبيرة تقابله في مجتمع الدراسة، سواء في أسلوب المعيشة أو نمط السلوك أو شكل الحكم أو ظواهر المعتقد أو الاقتصاد أو طريقة التفكير...إلخ. هذه التقارير الفورية تعكس الملاحظات اليومية للباحث والتي يراها في المجتمع المدروس.
- وتعود أهمية تدوين هذه الملاحظات اليومية إلى أنها تقودنا في النهاية إلى فهم هذا المجتمع فهماً شاملاً.

ثانياً- الإخباريين:

يمكن القول بأنها المقابلة غير الموجهة التي تتم مع ما يسمى بالإخباري الذي هو ذلك الشخص الذي يقوم بتزويد الباحث بالمعلومات المطلوبة عن المجتمع المدروس، ولديه من المعلومات التي يمكن أن تحقق هدف الدراسة

وتسهم في اتجاهها، حيث تتم أخذ المعلومات من الإخباري عن طريق المقابلة غير الموجهة في كثير من الأحيان.

أما بالنسبة لنوعية الإخباريين الذين يجب على الباحث أن يختارهم، فهم دائماً ما يكونون من ذوي المكانة الاجتماعية أو السياسية أو الدينية في المجتمع المدروس، كما يجب أن يكونوا من كبار السن، وهذا معناه أن يكون الإخباري من الأشخاص الذين يستفيد الباحث منهم في جمع المعلومات الهامة عن البناء الثقافي والاجتماعي لمجتمع الدراسة.

ووفقاً لهذه الأداة يتم اختيار الباحث لمجموعة من أفراد المجتمع المدروس وإجراء مقابلات مطولة معهم، ويقوم بتوجيه أسئلة متنوعة لهؤلاء الأفراد تاركاً الفرصة لهم ليقدموا الإجابة المسترسلة عن تلك الأسئلة، حيث لا يتدخل الباحث مطلقاً في توجيه إجابات الإخباريين، بمعنى آخر: لا يتدخل الباحث في توجيه إجاباتهم للغايات التي هو يبحث عنها.

فمثلاً قد يسأل الباحث أحد الإخباريين عن مفهوم الزواج بصورة عامة، ثم يترك للإخباري الاسترسال في الحديث عن الزواج ومفاهيمه وأهميته في المجتمع الذي ينتمي إليه.

ويمكن وصف المقابلة غير الموجهة للإخباريين على أنها نوع من الحديث العام عن الواهر الاجتماعية والسلوكيات العامة المتواجدة في المجتمع، إلا أن ميزة هذا الحديث العام بأنه لا يكون بين طرفين متساويين، بل إنه بين طرف يعرف ويفهم ما يدور في المجتمع (الإخباري)، وطرف محايد يحاول من خلال عملية السؤال والاستماع أن يفهم ما يدور في هذا المجتمع (الباحث).

ويجب على الباحث أن يكون على استعداد تام أثناء المقابلة لكي تتسنى له تسجيل وتدوين المعلومات التي يذكرها له الإخباري. ومن أهم الوسائل التي يتم استخدامها لتدوين تلك المعلومات هي آلة التسجيل والتي تضمن حفظ المعلومات التي تم الحصول عليها من الإخباري.

ثالثاً- المقابلة:

المقابلة هي محادثة تتم بين الباحث والمبحوث أو المبحوثين في زمان ومكان معينين، بهدف الحصول على المعلومات من خلال التبادل اللفظي الحاصل بين طرفي المقابلة، ومن خلال ملاحظات الباحث لانفعالات المبحوث وحركاته التعبيرية يمكن أن يستشف الباحث معطيات قد لا يفصح عنها المبحوث باستجابته اللفظية.

⬅️ والمقابلة أنواع نذكر منها:

- المقابلة الفردية.
- المقابلة الثنائية.
- المقابلة الجماعية.
- المقابلة الموجهة.
- المقابلة غير الموجهة...إلخ.

وقد تمت الإشارة مسبقاً إلى ان الباحث الأنثروبولوجي يعتمد على الإخباريين عن طريق مقابلتهم، ففي كثير من الأحيان يلجأ الباحث إلى استخدام أسلوب المقابلة مع أفراد المجتمع. وقد يستخدم الباحث الأنثروبولوجي أداة المقابلة الموجهة مع الإخباريين، كذلك قد يستخدم المقابلة غير الموجهة.

وإذا كانت المقابلة غير الموجهة هي الطريقة التي تتم تلقائياً بين الباحث وبعض أفراد المجتمع المبحوث الذين تترك لهم فرصة الإجابة المسترسلة على مختلف الأسئلة، فإن طريقة المقابلة الموجهة تتمثل في إعداد استمارة عبارة عن مجموعة من الأسئلة تتم صياغتها بدقة حول موضوع البحث المراد دراسته، بحيث تشتمل على الإجابات المحتملة بطريقة تسمح للمبحوث الإجابة عن الأسئلة بسرعة ووضوح، ثم تفرغ هذه الإجابات ضمن جداول.

وعلى الباحث أن يقرأ الأسئلة أمام الشخص المراد مقابلته ثم يسجل إجابته في الاستمارة، وينبغي أن تقرأ الأسئلة من قبل الباحث بطريقة محايدة بحيث لا

تؤثر على المستمع.

وتبرز أهمية المقابلة من حيث أنها قادرة على فحص التأثير الانفعالي للمبحوث كما ذكر أعلاه، والكشف عن تعبيراته وكذلك يمكن من خلالها أن تنشأ علاقة ود ومودة بين الباحث والمبحوث، بالإضافة إلى أنها قادرة على الكشف عن صدق المعلومات التي يمكن الحصول على من قبل المبحوث، ولاشك أن ذلك يرتبط بشكل كبير بمهارة الباحث وقدراته.

← وكنموذج للأسئلة التي يتم طرحها في المقابلة الموجهة نذكر

المثال الآتي:

لنفترض أن الباحث يريد أن يعرف طبيعة العلاقة بين الزوجين في المجتمع المدروس، من الممكن تحقيق هذا الهدف مثلاً من خلال طرح السؤال التالي: هل تشارك زوجتك في اتخاذ القرارات ، ويتم وضع عدة إجابات مثل: نعم لا أحياناً، ويترك للمبحوث حرية اختيار أحد هذه الاحتمالات. وهذا النمط من الأسئلة يسمى بالأسئلة المغلقة، لكن يمكن أن تتضمن المقابلة الموجهة النمط الثاني من الأسئلة وهو الأسئلة المفتوحة هي التي تسمح للمبحوث أن يتحدث ويعبر عن رأيه، مثل سؤاله عن رأيه في قضية ما أو اقتراحه في مسألة محددة وغيرها.

رابعاً- تاريخ الحياة:

كثيراً ما يستخدم الأنثروبولوجيين طريقة تاريخ الحياة أثناء دراستهم الميدانية بقصد جمع العديد من المعلومات الأثنوغرافية عن المجتمع المدروس. وهي عبار عن عرض للسيرة الذاتية وتاريخ الحياة.

وتقوم هذه الطريقة على اختيار الباحث لشخصية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية او دينية، ويطلب منه أن يقص عليه سيرة حياته وما صادفها من أحداث منذ الصغر وحتى تاريخ اللحظة التي يحادثه فيها. وغاية الباحث هنا ليست قصة حياة الفرد كما تروى، بل ما يهمه هنا هو استقرار العلاقة

الاجتماعية والأحداث التاريخية والعناصر الثقافية والمعتقدات الدينية التي تشكل المجتمع وتحدد تطوره.

⇨ وينقسم تاريخ الحياة إلى نوعين:

1- أوتوبيوغرافي: وهو الذي يعتمد على سرد المبحوث لسيرته الذاتية وحياته بنفسه دون تدخل الباحث.

2- البيوجرافي: وهنا يتدخل الباحث في توجيه مسار حديث المبحوث وتحديد مسار حياته بما يرتبط بموضوع بحثه وما يريد الباحث الوصول إليه.

وحتى يتمكن الباحث من التحقق من صحة المعلومات التي يذكرها شخص ما في سيرته الذاتية، فإن عليه أيضاً أن يعتمد على سير ذاتية لأشخاص آخرين، ومن ثم استخدام طريقة المقارنة فيما بين هذه السير الذاتية للوصول إلى معلومات لها صفة العمومية والموضوعية، حيث من خلال المقارنة يمكن تقديم وصف عام للثقافة، وتحديد المعلومات ومدى دقتها.

خامساً- استخدام الوثائق

كذلك يعتمد الباحث الأنثروبولوجي في بحثه على استخدام الوثائق بهدف الحصول على المعلومات التي يحتاجها.

⇨ وهناك نوعان من الوثائق، هما:

- الوثائق المكتوبة: التي تتوافر في المجتمعات التي تعرف الكتابة والقراءة.

- الوثائق الشفهية: وهي التي يتم تناقلها عن طريق القصص والأشعار الشفاهية، ويتم الاعتماد عليها في المجتمعات الأمية.

وميزة هذين النوعين من الوثائق هو أنهما يمنحان الباحث العديد من المعلومات التي قد لا يستطيع جمعها عن طريق المقابلات، كما أن هذه الوثائق قد تنبه الباحث على جوانب اجتماعية أخرى لم يلحظها من قبل في مجتمع الدراسة.

سادساً- الطريقة الجينالوجية:

وتسمى أيضاً بطريقة تتبع النسب، حيث يحاول الباحث من خلالها الاعتماد على أحد الإخباريين في المجتمع وتتبع العلاقات الخاصة به مع سائر الأفراد المرتبطين به قرابياً ويقوم بتسجيل العديد من المعلومات عن هؤلاء من أسماء وتاريخ ميلاد وزواج وطلاق ووفاة وإقامة وروابط زواجية والعمل... إلخ من البيانات التي ترتبط بموضوع الدراسة. ويقوم الباحث في النهاية بتفريغ هذه البيانات لفهم العلاقات السائدة في مجتمع الدراسة بعد أن يضعها بتخطيط هندسي حتى يفهم شبكة العلاقات السائدة، ويتم وفقاً لهذه الطريقة تضمين أكبر قدر من المعلومات عن الأفراد وتتبع الأجيال، فيكشف الباحث من خلالها قضايا خاصة بالزواج والهجرة والعلاقات بين الأفراد ونظام الوراثة وغيرها من العلاقات.

وميزة هذين النوعين من الوثائق هو أنهما يمنحان الباحث العديد من المعلومات التي قد لا يستطيع جمعها عن طريق المقابلات، كما أن هذه الوثائق قد تنبه الباحث على جوانب اجتماعية أخرى لم يلحظها من قبل في مجتمع الدراسة.

سادساً- الطريقة الجينالوجية:

وتسمى أيضاً بطريقة تتبع النسب، حيث يحاول الباحث من خلالها الاعتماد على أحد الإخباريين في المجتمع وتتبع العلاقات الخاصة به مع سائر الأفراد المرتبطين به قرابياً ويقوم بتسجيل العديد من المعلومات عن هؤلاء من أسماء وتاريخ ميلاد وزواج وطلاق ووفاة وإقامة وروابط زواجية والعمل... إلخ من البيانات التي ترتبط بموضوع الدراسة. ويقوم الباحث في النهاية بتفريغ هذه البيانات لفهم العلاقات السائدة في مجتمع الدراسة بعد أن يضعها بتخطيط هندسي حتى يفهم شبكة العلاقات السائدة، ويتم وفقاً لهذه الطريقة تضمين أكبر قدر من المعلومات عن الأفراد وتتبع الأجيال، فيكشف الباحث من خلالها قضايا خاصة بالزواج والهجرة والعلاقات بين الأفراد ونظام الوراثة وغيرها من العلاقات.